

مجنون لیلی

أحمد شوقي



مجنون لیلی

مجنون ليلي

تأليف
أمير الشعراء أحمد شوقي



مجنون ليلي

أمير الشعراء أحمد شوقي

رقم إيداع ٢٠١٢/١٥٨٥٣

تدمك: ٨ ٥٩ ١٦ ٦٤ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + فاكس: ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧

٩

٣٥

٤٩

٧٩

١١٣

تمهيد

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

تمهيد

- زمن الرواية: صدر الدولة الأموية.
- مكان الرواية: بادية نجد.
- أشخاص الرواية:

- قيس: مجنون ليلى.
- ليلى
- المهدي: أبو ليلى.
- ورد: زوج ليلى.
- ابن عوف: أمير الصدقات في الحجاز وعامل من عمال بني أمية.
- زياد: راوية قيس وصديقه.
- منازل: غريم قيس في حب ليلى.
- بشر: رجل من بني عامر.
- ابن ذريح: شاعر من شعراء الحجاز.
- نصيب: كاتب ابن عوف.
- سعد: رجل من بني عامر.
- الغريض: مغن مشهور.
- ابن سعيد: شاعر.
- أمية: رفيق ابن سعيد.
- الأموي: شيطان قيس.
- عذرفوت، هبيد، عسر، عاصف: شياطين.

مجنون ليلي

- بلهاء: جارية قيس.
- عفراء: جارية ليلي.
- سلمى، هند، عبلة: فتيات من بني عامر.
- رجال، قوافل، حداة، صبية، فتيات

الفصل الأول

(ساحة أمام خيام المهدي في حي بني عامر - مجلس من مجالس السمر في هذه الساحة - فتية وفتيات من الحي يسمرون في أوائل الليل، وفي أيدي الفتيات صوف ومغازل يلهون بها وهم يتحدثون - تخرج ليلى من خيام أبيها عند ارتفاع الستار ويدها في يد ابن ذريح)

ليلى:

دعي الغزلَ سلمى وحيِّي معي منارَ الحِجَازِ فَتَى يَثْرِبِ^١

(تصافحه سلمى)

ويا هِنْدُ هذا أديبُ الحِجَازِ هلمِّي بمَقْدَمِهِ رَحْبِي

(تصافحه هند ويحتفي به السامرون)

^١ يثرب: المدينة المنورة.

الفصل الأول

بشر (هامساً ومتلفتاً كأنما يخشى أن يسمعه أحد):

لا جاهلاً موضعَهُ
ولكن أخاف امراً أن يرى
عليّ التشييع أو يسمعه
أحبُّ الحسينَ ولكنَّما
لساني عليه وقلبي معه!
حبَّستُ لساني عن مدحه
جِذَارَ أُمِّيَّةٍ أن تقطعه
إذا الفتنة اضطرمت في البلاد
ورُمت النجاة فكنِّ معهُ!

ليلي:

إبن ذريح نحن في عزلة
فهل على مُستفهم منك بأس؟
دارُ النبي كيف خلفتها؟
كيف تركت الأمر فيها يُساس

ابن ذريح:

تركتها يا ليل مذبوطة
يحكُمها وإل شديد المراس
إن حديث الناس في يثرب
همس وخطو الناس فيها احتراس

ليلي:

إبن ذريح لا تجرِّ واقتصد
أحلام مَرَوَانَ جبالِ رَواس
يؤسسون المُلك في بيتهم
والعُنفُ والشدة عند الأساس

(تتضحك الفتيات وتقول إحداهن لأخرى)

فتاة:

ليلي على دين قيس
فحيثُ مال تميلُ!
وكلُّ ما سرَّ قيساً
فعند ليلي جميلُ

ابن ذريح:

ما الذي أضحك مني الظبيات العامريّة
ألأنّي أنا شيعيٌّ وليلى أمويّة؟
إختلافُ الرأي لا يُفسدُ للود قضيّة

ليلي:

أعزني سماعك يابنَ ذريحٍ
أتيتَ لنا اليومَ من يثربٍ
أكتتَ من الدور أو في القصور
كأن النجومَ على صدرها
ولا تسمعِ الطفلةَ الهاذيةَ
فكيف ترى عالمَ الباديةَ
ترى هذه القبةَ الصافيةَ؟
قلائدُ ماسٍ على غانيّة

هند:

كفى يابنةَ الخال! هذا الحريزُ
تأملُ تر البيدَ يابنَ ذريح
سئمنا من البيدَ يابنَ ذريح
ومن موقدِ النار في مَوْضِعٍ
وراغيةٍ من وراء الخيامِ
وأنتم بيثربَ أو بالعراقِ
مُغنيكمو مَعْبَدٌ والغريضُ
وقد تأكلونَ فُنُونَ الطُّهَاهِ
كثيرٌ على الرِّمّةِ الباليّةِ
كمقبرةٍ وحَشّةٍ خاويّةِ
ومن هذه العيشةَ الجافيةِ
ومن حالبِ الشاةِ في ناحيّه
تُجيبُ من الكَلأِ الثاغيةِ^٢
أو الشامِ في العُرفِ العالِيّه
وقينُتنا الضُّبُعُ العاويّه
ونأكل ما طهتِ الماشيّه

^٢ الراغية: الناقة، والثاغية: الشاة.

مجنون ليلي

هند:

قد صحتِ قيسُ مرتين

ليلى:

أو ثلاثاً ما الضرر

هند (متهكمة):

إسم الحبيبِ عندنا نذكره عند الخدر

ليلى:

هند كفي دعاية إن هو إلا اسمُ حضر

(لنفسها)

يا قيس ناجي باسمك القلبُ اللسان فعنَّ

عبله (ضجرة):

أما سوى هذا الحديثِ شاغلٌ؟ كيف ظللتَ اليومَ يا منازلٌ؟

منازل (ضاحكاً):

منازلُ اليوم كأمس هازلُ يشربُ أو يطعمُ أو يُغازلُ!

هند:

بخِ! كذا فلتكن الحياةُ مُت يا بعير وانفقي يا شاةُ
انغمست في الترفِ الرعاةُ!

ليلي:

وكيف ظلت اليوم سعدُ؟ أهازلُ كتربك أم في صالحٍ ورشاد!

سعد:

بل الجدُّ يا ليلي سبيلي وديدني حياتي بوادٍ والمُجونُ بواد
صحبتُ زيادًا طول يومي تلقفًا لأشعار قيسٍ من لسان زياد
وإن زيادًا — منذ كان — لرائحُ علينا بشعر العامريِّ وغاد
ولولا زيادُ ما تمثَّل حاضرُ بأشعار قيسٍ أو ترنم باد

(يبدو على ليلي شيء من الزهو فتنهاس الفتيات)

سلمى:

انظري هند تري ليلي اكتست زهواً وكبراً
وتعال كابتة النعمان أو كابتة كسرى!

هند:

لم لا سلمى، ألم يرفع لها المجونُ ذكراً؟

عبلة:

لم إذن يا هند من قيسٍ ومما قال تبراً؟

هند:

عَبْتُ النَّسْوَةَ! إِنَّا نَحْنُ بِالنَّسْوَةِ أَدْرَى!

سلمى:

سلوا الآن بشراً فيم أنفق يومه؟

أصوات:

سلوه

هند:

سلي يا ليلَ عن يومه بِشَرًا

ليلى:

وهَلْ يَوْمُهُ إِلَّا شَتُونٌ كَأَمْسِهِ مِنْ الصَّيْدِ؟

هند:

إِن الصَّيْدَ لَذَنَّهُ الكَبْرَى

بشر:

نعم هو ملهائى الذي لا أمله
ولو كان عيشي في قصور أميَّة
وما أنا صيَّادُ الأرناب مثلهم
ولا النفس تُعطى عن تناوله صبرا
لعلَّمتُ فنَّ الصيدِ فتیانها الزهرا
ولكن على حيَّاته ألجُ القفِّرا

ليلي:

إِذْنِ هَاتِ وَاصْدُقْ بَشْرُ فِي الْقَوْلِ مَرَّةً وَلَا تَخْتَرَعُ أَوْ تَبْنِ مِنْ حَجَرٍ قَصْرًا!

بشر:

دعي عنك هذا السُّخْرُ يا لَيْلِ واسمعي

ليلي:

تَحَدَّثْ فَلَا وَاللَّهِ لَمْ أُضْمِرِ السُّخْرَا

بشر:

بَكَرْتُ كَدَّابِي الْيَوْمَ أَبْغِي قَنِيصَةً وَمَنْ يَتَصَيَّدُ يَحْسَبُ الْغُنْمَ وَالْخُسْرَا
رَأَيْتُ غَزَالًا يِرْتَعِي وَسَطَ رَوْضَةٍ فَقَلْتُ أَرَى لَيْلَى تَرَاءَتْ لَنَا ظُهُرًا^٢

هند (مشيرة إلى ليلي):

وَأَيُّ اللَّيَالِي بَشْرُ أَنْتِ؟ هَذِهِ

بشر:

إِذَا شِئْتَ - أَوْ هَاتِيكِ - أَوْ حُرَّةً أُخْرَى
فَقَلْتُ لَهُ يَا ظَبِي لَا تَخْشِ حَادِثًا (فَإِنَّكَ لِي جَارٌ وَلَا تَرْهَبِ الدَّهْرَا)
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَذَنْبٌ قَدْ انْتَحَى فَأَعْلَقَ فِي أَحْشَاءِ النَّابِ وَالظُّفْرَا)
فَفَوْقَتْ سَهْمِي فِي كَتُومٍ غَمَسَتْهَا فَخَالَطَ سَهْمِي مَهْجَةَ الذَّنْبِ وَالنَّحْرَا)

^٢ الأبيات التي بين الأقواس من شعر المجنون.

ليلي (ضاحكة):

أخي بشرُ لا شُلْتُ يمينك من يدِ
سمعنا بإقدام اللصوص وفتكهم
ووالله لم تغضب لظبي ولم تثبُ
أخذتَ فلم تترك لقيسٍ بضاعةً
ولا فَضَّ فاك الصبحُ والليلُ ما كَرًّا
فلم نر أدهى منك فتكًا ولا أجزا!
بذئبٍ ولم تُعْمَلْ خيالًا ولا فكرا
سرقَتَ لعمري الظبيَ والذئبَ والشعرا!

(ضحك من الجميع)

حديثُ الظبيِ والذئبِ وقيسٍ لستُ أنساه
زيادُ عنه نبَّاني ولا ينبيك إله
رأى قيسٌ على رابية ظبيًّا فناده
فألقي الظبيُّ أذنيهِ ومسَّ الأرضَ قرنَاه

(ثم تقول في لوعة وصوت مخفوض وكأنما تحدث نفسها)

برُوحِي قيسُ! هل راحت
وهل يرثي له الريمُ
ظباءُ القاع تهواه؟
ولا أرثي لبلواه؟

(تسترسل في حديثها الأول)

على فيه من العُشبِ بقايا صبغت فاه
رأى في جيده قيسُ وفي عينيه ليلاه
فبيننا هو في الشوقِ وفي نشوة زكراه
حبا الذئبُ من الوادي إلى الظبي فأرداه
تغدى بحشا الظَّبيِ غداءً ما تهنَّاه
رماه قيس في المقتل بالسهم فأصماه

بشر (مندفعًا بحماسة!):

أجل يا ليل! ما قلتِ سوى شيءٍ شهدناه
وإن لم تذكرِ القبرَ ولا كيف خططناه
حفرنا القبرَ للظبي وقمنا فدفناه
وصلينا على الميت وبالدمع سقيناه
فقولوا ولتقل ليلي معي يرحمهُ الله!

أصوات (بين الضحك والسخرية):

أجل بشرُ!
أجل بشرُ!
أجل يرحمه الله!

ابن ذريح:

بشرُ كفى هزلًا وتخليطًا كفى
أرسلني قيسُ فلو أخبرتني
بتنا نخافُ أن يجلَّ خطبُه
وقيسُ يا ليلي وإن لم تجهلي
لم ندرِ في حيِّك أو في حيِّه
ولا جملاً، وهنا (يا ليل) ما
ويابنةَ العم مضى الليلُ سدى
متى متى بأمرِ قيسٍ يُعتنى؟
وتبلغُ البلوى بقيسِ المدى
زين الشباب وابنُ سيد الحمى
فتى حكاه نسبًا ولا غنى
ترينَ أنتِ لا الذي نحن نرى

بشر (ساخرًا):

بخِ بخِ! ابنُ ذريحِ خاطبُ

ابن ذريح:

أسكت فلست للمروءات أخًا!

ليلى (غاضبة):

فيم هذا الكلام يا بن ذريح؟

ابن ذريح:

إتقي الله واقصدي في التجني

ليلى:

ما تجنيت

ابن ذريح:

بل ظلمت، دعيني أحسن الذود عن صديقي وخذني

ليلى:

أنا أولى به وأحنى عليه
يعلم الله وحده ما لقيس
إنني في الهوى وقيسًا سواءً
أنا بين اثنتين كلتاهما النا
بين حرصي على قداسة عرضي
صنّت منذ الحداثة الحبّ جهدي
قد تغنى بليلة الغيل، ماذا
كل ما بيننا سلامٌ وردُّ

لو يُداوى برحمتي والتحنّي
من هوى في جوانحي مستكين
دُنّ قيس من الصباة دني
ر فلا تلحى ولكن أعني
واحتفاظي بمن أحبّ وضني
وهو مستهترّ الهوى لم يصني
كان بالغيل بين قيس وبينني؟
بين عين من الرفاق وأذن

الفصل الأول

وتبَسَّمتُ في الطريق إليه ومضى شأنه وسرتُ لشأني
(تهيب بالسامرين وقد بلغ بها الغضب أقصاه)

أَوْغَلِ اللَّيْلُ فَلنَقْمُ

ابن ذريح (متوسلاً):

بل رويدًا واسمعي (ليل)

ليلي:

خَلَّ عَنِّي دَعْنِي!

(تدخل خبائها بينما ينفض السامرون فلا يتناقل منهم في القيام إلا منازل
— الهرج والأسف يسودان الجميع)

بشر:

انفضَّ سامرُ ليلي وكان حَفَلًا كريماً

سعد:

قد فَضَّه ابن ذريح ففض عِقدًا نظيمًا
أثار ليلي فهاجت كما تنفَّر ريمًا
تري أُنْبِغِضُ قيسًا

ابن ذريح:

لا تقلبوا الحبَّ بغضًا

مجنون ليلى

ليلى العشيّة غضبى ويُصبح الصبحُ ترضى

سعد:

أنعم (مُنَازِ) مساءً

منازل:

نعمت سعدُ مساءً

هند:

بشرٌ مُسَيِّتٌ بخيرٍ

بشر:

أنعمي هندُ مساءً

هند:

نحن يحوينا طريقُ فامض بلّغني الخباءَ

سعد (ضاحكًا):

احذري يا هند منه!

هند:

أنا لا أخشى اعتداء

قد عرفتم وعرفنا كيف يصطاد الظباء!

(تسمع ضحكاتهم من أقصى الطريق بينما يظهر قيس وزيد من جانب
المرح الآخر)

قيس:

سجا الليل حتى هاج لي الشعرَ والهوى
ملأت سماءَ البيدِ عشقًا وأرضها
ألمَّ على أبيات ليلى بي الهوى
وباتت خيامي خُطوة من خيامها
إذا طاف قلبي حولها جُنَّ شوقه
يحن إذا شطَّت ويصبو إذا دنت
وارسلني أهلي وقالوا امض فالتمس
عفا الله عن ليلى لقد نوَّت بالذي
وما البيدُ إلا الليلُ والشعرُ والحبُّ
وحُمَّلْتُ وحدي ذلك العشقَ يا ربَّ
وما غيرَ أشواقِي دليلٌ ولا ركبُ
فلم يَشفني منها جوار ولا قرب
كذلك يُطغي الغلَّةُ المنهلُ العذب
فيا ويح قلبي كم يحن وكم يصبو
لنا قبسًا من أهل ليلى وما شبُّوا
تحمَّلَ من ليلى ومن نارها القلب

منازل (وقد سمع همهمة الصوت ورأى شبحيهما في الظلام):

أرى شبحًا مقبلًا في الظلام
هو ابن الملوِّحِ دلَّ الهُزالُ
عدوِّي المبين وما بيننا
روى شعره البدو والحاضرون
وهام بليلى وهامت به
تشرَّد مستعظمًا في البلاد
وإنِّي لأبدي إليه الوداد
وأحسُّده حسدًا ما علمت
وأسمع همهمة في الدجى
عليه ونمَّ اضطراب الخُطا
ولا بين صاغيتينًا جفا
وشعري ليس له من روى
لقد كنت أولى بهذا الهوى
وجُنَّ فما ازداد إلا نُهى
وأخفي له في الضلوع القلى
أقيسُ الشقيُّ به أم أنا

(يتقدم منهما خطوات)

٤ صاغية الرجل: قومه.

مجنون ليل

من الراكبُ الليل؟ قيسٌ أخي؟

قيس:

منازل؟ ما أعجبَ الملتقى!

منازل:

أقيساً أرى في ظلال البيوت؟ وعهدي بقيس حليفَ الفلا

قيس:

منازل، من أين؟

منازل:

من عندها من السمر الممتع المشتهى

قيس (حنقاً):

أمن عند ليلي تجرُّ الذبول حديثَ لَعمرُ أبي مفترى

منازل:

بل الصدقُ ما قلتُ يابن الملوء ح

قيس:

إخساً متى قلت صدقاً متى؟

وما كنت تصنع؟

منازل (ساخرًا):

ما يصنعون لهوت لعمري فيمن لها
وسامر ليلي كثير الرّحام
وليلي تُفِيضُ على من تشاء
فلمست تعدُّ شبابِ الحمى
رضاهما وتحرمُهُ من تشا

زياد (مغضبًا):

منازل، قيس، سبيك قيس!
وكلّ لي تأديبَ هذا الفتى

منازل (وقد أخذ بتلابيبه):

تؤدّبني زيادُ وأنت ظل
وتزعمُ أنني نِدُّ لقيس
لمجنون وراوية لهاذي
رضيت من المصائب غير هذي!

زياد:

من قال ذا؟ أنت لقيس نِدُّ
لم يبق فيك يا حياة جِدُّ
إمض بنا ناحيةً يا وغدا!

يجره إلى حيث تسمع أصواتهما من بعيد ثم تختفي فيقبل قيس على خباء
ليلي وينادي)

قيس:

ليلي!

المهدي (خارجًا من الخباء):

من الهاتف الداعي؟ أقيس أرى؟ ماذا وقوفك والفتيان قد ساروا

مجنون ليلى

قيس (خجلًا):

ما كنتُ يا عمُّ فيهم

المهدي (دهشًا):

أين كنتُ إذن؟!

قيس:

في الدار حتى خَلْتُ من نارنا الدار
ما كان من حطبٍ جَزَلٍ بساحتها أودى الرياحُ به والضيفُ والجار

المهدي (منادياً):

ليلى — انتظر قيس — ليلى

ليلى (من أقصى الخباء):

ما وراء أبي؟

المهدي:

هذا ابن عمِّك ما في بيتهم نار

(تظهر ليلى على باب الخباء)

ليلى:

قيس ابن عمي عندنا يا مرحبًا يا مرحبًا

قيس:

مُتَّعَتِ لَيْلَى بِالْحَيَاةِ وَبَلَغَتِ الْأَرْبَابَا

ليلى (تنادي جاريتها بينما يختفي أبوها في الخباء):

عفراء

عفراء (ملبية نداء مولاتها):

مولاتي

ليلى:

تَعَالَيْ نَقِضِ حَقًّا وَجَبًّا
خذي وعاءً واملئيه لابن عمِّي حَطْبًا

(تخرج عفراء وتتبعها ليلي)

قيس:

بالروح ليلي قضت لي حاجةً عرضت
مضت لأبياتها ترتاد لي قبسًا
ما ضرها لو قضت للقلب حاجاتٍ
والنار يا رُوحِ قيسٍ ملءُ أبياتي
ما كان أكثر أسبابي وعلاتي
كم جنئتُ ليلي بأسباب مَلْفَقَةٍ

(تدخل ليلي)

ليلى:

قيس

قيس:

ليلى بجانبى كلُّ شيءٍ إذن حضُرُ

ليلى:

جمعتنا فأحسنْتَ ساعةً تفضُّلُ العُمُرُ

قيس:

أتجدِّين؟

ليلى:

ما فـوا دي حديدٌ ولا حجرٌ
لك قلبٌ فسله يا قيس يَنْبُكُ بالخبرُ
قدُ تحملتُ في الهوى فوق ما يحتملُ البشرُ

قيس:

لستُ ليلاي دارياً كيف أشكو وأنفجرُ؟
أشرح الشوقَ كله أم من الشوقِ أختصرُ؟

ليلى:

نَبَّني قيسُ ما الذي لك في اليد من وطرُ؟
لك فيها قصائدٌ جاوَزَتْها إلى الحضُرُ
كلُّ ظبي لقيته صُغت في جيده الدررُ
أترى قد سلوتنا وعشقت المَها الأخرُ؟

قيس:

غرت ليلي من المهَا والمها منك لم تغز
حبَّ البيد أنها بك مصبوغة الصُور
لست كالغيد لا ولا قمرُ البيد كالقمرُ

ليلى (وقد رأت النار تكاد تصل إلى كم قيس):

ويح عيني ما أرى! قيس

قيس:

ليلى

ليلى (مشفقة):

خذِ الحذر!

قيس (غير آبه إلا لما كان فيه من نجوى):

رُبَّ فجر سألتُه هل تنفستِ في السحرُ
ورياح حسبتُها جررتِ ذيلك العطرُ
وغزالِ جفونهُ سرقتِ عينكِ الحورُ

ليلى:

إطرح النارِ يا فتى أنتِ غادِ على خطرُ
لهبُ النارِ قيسُ في كمك الأيمن انتشرُ

مجنون ليلى

قيس (مستمراً بعد أن رمى النار من يديه):

وذئاب أرقَّ يا ليلُ من أهلك الغُيرُ
أُنسْتُ بي ومَرَّغْتَ في يدي الناب والظفُرُ

ليلى:

ويح قيسٍ تحرقت راحتاه وما شَعَرُ

قيس:

أنت أجبتي في الحشا لاعمج الشوق فاستعز
ثم تخشين جمرَةً تأكلُ الجلد والشعرُ

(يترنح قيس في موقفه وتظهر عليه بوادر الإغماء)

ليلى:

فذاك أباي قيس ماذا دهاك؟ تكلم، أين قيس، ماذا تجدُ

قيس:

أحسُّ بعينيَّ قد غامتا وساقِي لا تحمِلان الجسدُ

(يخر صريعاً إلى الأرض فتتلقاه على صدرها صارخة)

ليلى:

يا لأبي للجارُ قيس صريعُ النارُ ملقى بصحن الدار!

(يخرج أبوها من الخباء على صوت استغاثتها)

الفصل الأول

أبي ها أنت ذا جئت أغثنا أبتني أدرك
لقد حُرِّقَ بالنارِ فما يصحو إذا حُرِّك

المهدي:

يرانا الناسُ يا ليلي

ليلي:

أبي أنفِ الناسِ من فكرك
هنا لا تقعُ العينُ على غيري ولا غيرك
ولا يَطْلُعُ إنسانٌ على سري ولا سرك
ولا أجدر من قيس بإشفاقك أو برك
أبي صدري لا يقوى فأسندهُ إلى صدرك

المهدي (وهو يتلقى عنها جسد قيس ويحاول إنعاشه):

رعاك اللهُ يا ليلي وكافاك على صبرك
أخافُ الناسَ في أمري وأخشى القلبَ في أمرك
وكم داريتُ يا ليلي وكم مهَّدتُ من عذرك
ولست الوالدَ القاسي ولا الطامعَ في مهرك

(يناجي قيساً في غيبوبته)

أبا المهديَّ عوفيتَ ويا بورك في عمرك
أراني شعركَ الويلَ وما أروي سوى شعرك
كما لَدَّ على الكُرهِ كلامُ الله للمشرك!

(يتحرك قيس ويبدو عليه كأنما يفيق فيناديه)

مجنون ليلي

قيس

قيس (يحاول الوقوف فتسنده ليلي):

لبيك عمّ

المهدي:

حسبُكَ فَاذْهَبُ لَا تَطَأْ لِي بَعْدَ الْعَشِيَّةِ دَارًا

ليلى:

أبْتِي لَا تَجُرْ عَلَيَّ قَيْسَ

المهدي:

إِـمُّ لَـمَّ لَا إِنْ قَيْسًا عَلَيَّ الْقِرَابَةَ جَارًا

ليلى:

أبْتِي مَا تَرَاهُ كَالْقَنْنِ الذَّا وَي نُحَوْلًا وَكَالْمَغِيبِ اصْفِرَارًا؟
وَتَأْمَلُ رِذَاءَهُ وَيَدِيهِ تَجِدُ النَّارَ أَوْ تَرَ الْأَثَارَا
أَبْتِي دَعُهُ يَسْتَرْخُ

المهدي:

بَلْ دَعِينَا لَا تَزِيدِي يَا لَيْلَ سُخْطِي انْفِجَارًا

قيس:

حسبُ يا ليلَ، حسبُ ذلًّا لعمِّي وكفى حِلْفَةً له واعتذارًا
عمُّ ماذا جنيت؟

ليلى:

ماذا جنى قيس؟

المهدي:

نسيتِ الرُّوَاةَ والأخبارًا

قيس:

إنهم يأفكون يا عمُّ

المهدي:

والغيلُ أليلاً غشيتَه أم نهارًا؟
ما الذي كان ليلةَ الغيلِ حتى قلتَ فيها النَّسِيبَ والأشعارًا؟

قيس:

لم تكنْ وحدها ولا كنتُ وحدي
جمعتنا خمائلُ الغيلِ بالليل
إنما نحنُ فتيةٌ وَعَذَارَى
كما يجمعُ الحمى السُّمَّارَا
ليسَ غيرَ السلامِ ثم افترقنا
ذهبتُ يمنةً وسرتُ يسارَا

المهدي:

إمض يا قيس إمض لا تكسُ ليلى كلَّ حينٍ فضيحةً وشنارًا
فكأنني بقصة النار تُروى وكأنني بذلك الشعر سارًا
وكانني ارتديتُ في الحي ذلاً وتجللتُ في القبائل عارًا
إمض قيسُ امضِ

قيس:

عمُّ رفقًا بليلى وبقيسٍ ولا تكن جبارًا
الحدَّارَ الحدَّارَ من غضب الله ومن سُخطه الحدَّارَ الحدَّارًا

المهدي:

إمض قيس امض جئت تطلب نارًا أم ترى جئت تُشعلُ البيتَ نارًا؟
(يخرج قيس)

الفصل الثاني

(طريق من طرق القوافل بين نجد ويثرب، على مقربة من حي بني عامر حيث تبدو مضارب هذا الحي على مدى البصر وعلى سفح جبل التوباد – قيس وزياد جلوس إلى جذع نخلة، يستشرفان شبحًا يسير نحوهما)

قيس:

زيادُ ما تلك؟ مَنْ الجُورِيَّةُ؟ أأنتك (بلهاء)؟

زياد:

أجل قيس هيَّه

(تظهر بلهاء وعلى رأسها قصعة)

قيس:

بلهاءُ كيف الحيُّ؟ كيف أمِّيَّةُ؟

بلهاء (وهي تضع القصعة):

تسأل عنك كما سألت

مجنون ليل

(تبدو على قيس كراهة للطعام وعزوف عنه)

زياد:

بالله قيسُ إلا أكلت

(يشدد ميل قيس عن الطعام)

بلهاء (هامسة لزياد):

زيادُ ما ذاق قيسُ ولا همًا

زياد:

طَبُخُ يَدِ الْأُمِّ يَا قَيْسُ ذُقْ مِمَّا
الْأُمُّ يَا قَيْسُ لَا تَطْبُخِ السُّمًّا

(ينزع عن القصعة غطاءها)

تعال تَأَمَّلْ قَيْسُ، تلك ذبيحةٌ

قيس:

عسى اليومَ نحرُ

زياد:

أين نحرُ من الأضحى؟

قيس:

أرى صُنْعَ أُمِّي يَا زِيَادُ، فَدَيْتُهَا بروحي وَإِنْ حَمَلَتْهَا هَمٌّ وَالْبَرْحَا
سَتْخَبِرْنَا الْبِلْهَاءَ

زياد:

بِلْهَاءُ بِيِّنِي وَلَا تَكْتُمِي عَنَّا الْحَدِيثَ وَلَا الشَّرْحَا

بلهاء:

لقد مرَّ عَرَافُ الْيِمَامَةِ بِالْحَمَى
طوى الحَيِّ حَتَّى جَاءَ عَنِ قَيْسٍ سَائِلًا
وَلاحَتْ لَهُ شَاةٌ جَثُومٌ بِمَوْضِعِ
فَقَالَ اذْبَحُوا هَاتِيكَ فَالْخَيْرِ عِنْدَهَا
فَقَالَ انزَعُوا مِنْ جُثَّةِ الشَّاةِ قَلْبَهَا
فَلَمَّا شَوِينَاهَا رَقَى بِعِزَائِمِ
وَقَالَ اطلبوا قَيْسًا فَهَذَا دَوَائُهُ

فَمَا رَاعِنَا إِلَّا زِيَارَتَهُ صُبْحَا
وَأَظْهَرَ مَا شَاءَ الْمَوَدَّةَ وَالنُّصْحَا
تَحَيَّلَهَا ظِلًّا مِنَ اللَّيْلِ أَوْ جُنْحَا
فَقَامَ إِلَيْهَا يَافِعٌ يُحْسِنُ الذَّبْحَا
فَلَمْ نَأَلُ قَلْبَ الشَّاةِ نَزْعًا وَلَا طَرْحَا
عَلَيْهَا وَأَلْقَى فِي جَوَانِبِهَا الْمِلْحَا
كَأَنِّي بِهِ لَمَّا تَنَاوَلَهُ صَحًّا

زياد:

تَعَلَّلُ قَيْسٌ بِالشَّاةِ
فَمَا الْعَرَافُ بِالْمَجْهُوِ
وَلَمْ تَعْلَمْ عَلَيْهِ الْبِيدِ
طَبِيبٌ جَرَّبَ الْيَابِسِ
فَذُقْ قَيْسٍ وَلَا تَرْتَبْ
وَتَلِكِ الْأُمُّ يَا قَيْسِ

عَسَاهَا تَذْهَبُ الْحُبًّا
لَا عِلْمًا وَلَا طَبًّا
تَدْجِيلًا وَلَا كِذْبًا
فِي الصَّحْرَاءِ وَالرَّطْبَا
بِمَا قَالَ وَمَا نَبَّا
أَطْعَهَا تَطْعَ الرَّبِّبَا

قيس:

زيد اسمع وكن عوني واخل اللوم والعتبا
إذا لم يكن بُدُّ فأني أكل القلبيا

زياد:

قيسُ يبغي القلبَ يا بلهاءُ أين القلبُ أينا؟

بلهاء:

هو عندي ويسيرُ ما اشتهى قيسُ علينا
هو في الشاة

زياد:

هلمَّي أخرجي القلبَ إلينا

بلهاء:

القلبُ! أين القلبُ؟ أين يا ترى وضعتُه؟
يا ويح لي! نسيتُ أني بيدي نزعته!

قيس:

وشاةٍ بلا قلبٍ يداوونني بها وكيف يُداوي القلبَ من لا له قلب!

(تسير بلهاء إلى الحي ويظهر صغار من ناحية الحي يلهون في طائفتين، وإذ
تقع أبصارهم على قيس وزياذ تتغنى كل طائفة بغناء)

الطائفة الأولى:

قيسُ عُصفورَ البوادي وَهَزَارَ الرَّبَّوَاتِ
طَرَّتْ مِنْ وَادِ لِيوَادِي وَغَمَرَتِ الْفَلَوَاتِ
إِيهِ يَا شَاعَرَ نَجْدٍ وَنَجِيَّ الظُّبَيَّاتِ
أَضْمِرِ الحَبَّ وَأَبْدِ لِأَعْمَفِ الْفَتَيَّاتِ

الطائفة الثانية:

قيسُ كَشَفَتِ العَذَارَى وَانْتَهَكَتِ الحُرْمَاتِ
وَدَمَعَتِ الحَيَّ عَارًا فِي السَّنِينِ الغَابِرَاتِ
قَدْ نَكَرَتِ الغَيْلَ دَعْوَى وَاصْطَنَعَتِ الخَلَوَاتِ
صَلَيْتُ لَيْلَى ببلوى مِنْكَ دُونَ الفَتَيَّاتِ!

(يلتقط قيس بضع حصوات من الأرض ويهم أن يحصب بها الصغار، ثم يتردد فينثر الحصى من يديه بينما يظهر من جانب الطريق الآخر ابن عوف وكتبه نصيب)

قيس (مناجياً نفسه):

قيسُ لا! سامحْ صغارًا لا يُجِسُّونَ الخَطِيئَةَ
إنهم فيما أتوه بَبَغَاوَاتٍ بريئة
لَقَّنُوهَا كَلِمَاتٍ نزهاتٍ أو بذِيئَةً

زياد (وهو يصرف الصغار):

إنهبوا عودوا إلى آبائكم واذكروا قيسًا بخير يا حُبُّ
إنهبوا أو حُوا إلى أترابكم وليبْلُغْ حَدًّا مِنْكُمْ حَدُّ
سيطرَ الحَبُّ على دنياكمو كلُّ شيءٍ ما خلا الحَبَّ عَبَثُ

مجنون ليلى

(يجري الصغار أمام زياد مضطربين ثم يختفون عن الأنظار، بينما يستلقي
قيس على الأرض في شبه إغماء)

ابن عوف (إلى نصيب وزياد يطارد الصغار):

انظرْ نُصَيْبُ ضَجَّةٌ وَصَبِيَّةٌ ورجلٌ يرمي الصغار بالحصا

نصيب:

أرى أميري نشأً تعلقوا بآبن سبيلٍ مُتَعَبٍ واهي القوى

ابن عوف:

بل امضِ سَلْ

نصيب (معتزاً زياد):

مَنْ الفتى؟

زياد (لنفسه وقد رأى ابن عوف):

مـاذا أرى؟ هذا أميرُ الصَّدَقاتِ هُنا

(ثم يرد على نصيب)

قيسُ إمامُ العاشقين

ابن عوف:

أَيُّهُم فهم كثير، كل قيس بهوى

زياد:

أَجَلٌ وَلَكِنَّ الَّذِي تُبْصِرُهُ أَرْفَعُهُمْ ذِكْرًا وَأَعْلَاهُمْ سُنَى

ابن عوف:

لَعَلَّهُ قَيْسُ الَّذِي نَعْرِفُهُ لَقَدْ رَوَيْتَ شَعْرَهُ فِيمَنْ رَوَى
فَأَيْنَ ظُلُّهُ زِيَادٌ؟

زياد:

أَنَا ذَا أَنَا الَّذِي يَتَّبِعُهُ حَيْثُ مَشَى

ابن عوف:

أَنْتَ الَّذِي تَهْدِي لِكُلِّ قَرِيْبَةٍ مُجَاغَةَ النَّحْلِ وَنَفْحَةَ الرُّبَا
مَا بِالْهَيْطِ طَبَا التَّرَابِ حَافِيًّا وَيَقْطَعُ الْبَيْدَ مُمَزَّقَ الرِّدَا
خُذْ يَا نُصَيْبُ بُرْدَتِي فِغْطُهُ لَا يَلْحَقْنَهُ مِنَ الْعُرَى أَدَى

زياد:

إِحْفَظْ عَلَيْكَ الْبُرْدَ يَا أَمِيرُ لَا فَقَرَ إِلَيْهِ بَابِنَ سَيِّدِ الْحَمَى
إِنْ لَقَيْسٍ مِنْ ثِيَابِ الْوَشِيِّ مَا يَفْنَى بِهِ الْعَمْرَ وَمَا يُعْيِي الْبَلَى

ابن عوف (مناجياً نفسه):

يَا وَيْحَ قَلْبِي مَا خَلَا مِنْ قَسْوَةٍ مَا بِالْهَيْطِ رَقَّ لَقَيْسٍ وَرَثَى

(يقبل على قيس)

مجنون ليل

قيسُ بُنيّ

زياد:

هو في إغماءة من وجده وما أظنه صحا

(يسمع صوت حاد من ناحية نجد، ويتعالى الصوت قليلاً قليلاً حتى يظهر الحادين ومن ورائه قافلة تسير إلى المدينة ثم يذوب الصوت قليلاً قليلاً حتى ينقطع)

أنشودة الحادي:

يا نجدُ حُذِّ بالزمأمُ ورِحٌّ
سرٌّ في ركابِ الغمامِ ليثربِ
هذا الحُسينُ الإمامُ ابنُ النبي
النورُ في البِيدِ زائدٌ حتى غَمَرُ
أُحُدُ الحيا في الوهادُ أُحُدُ القمرِ
أُحُدُ جَمالَ البَوادِ زينَ الحضُرِ
ابنَ النبي

ابن عوف:

سمعتمو؟ يا لك من رنة حادٍ مُطربِ

زياد:

يا ليت شعري ما الركا ب مَنْ لواءِ المؤكبِ

نصيب:

قد بيّن الحادي فقل
هذا منارُ العرب
هذا الزكيّ ابنُ الزكيّ
عارِضنا الحسينُ في
هذا سنا جبينه
قد جلّ حاديه جلا
أصمُّ أنت أم غبي؟
هذا الحسينُ ابنُ النبي
الطيبُ ابنُ الطيب
طريقه ليثرب
مِلء الوهاد والرُّبى
لَ القارئِ المطرَّب

ابن عوف (هامسًا إلى نصيب):

نصيبُ صه لا تسلكنُ
ولا تظاهرُ بالهوى
إحذرُ جواسيس ابنِ هندٍ
نحن رجالُ دولةٍ
ليس بعينها عمى
تسمع في ظل القصور
بنا مسالك التُّهم
لوارث البيت العَلَم
وعيونَ ابنِ الحَكَم
قوامةً على الأمم
ولا بأذنِها صَمَم
همسَ رعيان الغنم

(إلى زياد مشيرًا إلى قيس)

زياد انظرُ فما انفكَّ
صريعَ الوجد والذكرى
كما مرَّ بنا الركبُ الحسينيُّ به مرًّا
فلم يشغلْ له بالألّا
ولم يوقظْ له فكرا

زياد:

رويدًا سيدي مهلاً
لقد سقناه بالأمس
فلما لمس الركنَ
ولا تستغرب الأُمرا
فحجَّ الكعبةَ الغرًّا
ومستَ يدهُ السِّترا

مجنون ليلى

وَقَلْنَا الْآنَ مِنْ لَيْلَى
سَمِعْنَاهُ يَنَادِي اللَّهَ
وَمَنْ فَتَنْتَهَا يَبِيرَا
مَنْ سَاحَتِهِ الْكَبِيرَى

ابن عوف:

وماذا قال؟

زياد:

مَا تَابَ
وَلَكِنْ قَالَ يَا رَبُّ
فَهَاتِ الضَّرَّ إِنْ كَانَ
وَإِنْ كَانَ هُوَ السَّحَرُ
وَيَا رَبُّ هَبِ السَّلْوَى
وَهَبْ لِي مَوْتَةَ الْمُضْنَى
مَنْ الْعِشْقِ وَلَا اسْتَبْرَا
مَلَكَتِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ
هُوَ لَيْلَى هُوَ الضَّرَا
فَلَا تُبْطَلُ لَهَا سَحْرَا
لِغَيْرِي وَهَبِ الصَّبْرَا
بِهَا لَا مِيتَةَ أُخْرَى

(يقبل على قيس ويميل عليه بحنان)

حَنَانِيكَ قَيْسُ إِلامَ الذَّهْوَلِ؟
صَلِيلُ الْبِغَالِ وَرَجْعُ الْهُدَاءِ
وَحَادٍ يَسُوقُ رِكَابَ الْحَسَيْنِ
فَلَمْ يَبْقَ مَاشٍ وَلَا رَاكِبُ
فَقَمَّ قَيْسٌ وَاضْرَعُ مَعَ الضَّارِعِينَ
أَفَقَ سَاعَةً مِنْ غَوَاشِي الْخَبَلِ
وَضَجَّةُ رُكْبٍ وَرَاءَ الْجَبَلِ
يَهْزُ الْجِبَالَ إِذَا مَا ارْتَجَلُ
عَلَى نَجْدٍ إِلَّا دَعَا وَابْتَهَلُ
وَأَنْزَلَ بَجْدَ الْحَسَيْنِ الْأَمْلُ

(يسمع صوت حادٍ آخر قادمًا إلى نجد من ناحية يثرب، على رأس قافلة
أخرى وتمر هذه القافلة كما مرت الأولى)

أنشودة الحادي:

هلا هلا هيأ، إطوي الفلا طيأ، وقربّي الحياء، للنازح الصبّ
 جلاجل في البيد، شجبة التريدي، كرنّة الغريد، في الفنّ الرطب
 أناح أم غنى، أم للحمى حنا، جليجل رنا، في شعب القلب
 هلا هلا سيري، وامضي بتيسير، طيري بنا طيري، للماء والعشب
 طيري اسقي الليلا، وأدركي الغيلا، العهد من ليلي، ومنزّل الحبّ
 بالله يا حادي، فتش بتوباد، فالقلب في الوادي، والعقل في الشعب
 يا قمرًا يبدو، مطلعُه نجد، قد صنع الوجد، ما شاء بالركب

(يفيق قيس ثم يتلف مصغياً إلى الحداء)

قيس:

ليلى! منادٍ دعا ليلي فخفّ له
 ليلى! انظروا البيد هل مادت بأهلها
 ليلى! نداءً بليلى رنّ في أذني
 ليلى! تردّد في سمعي وفي خلدي
 هل المنادون أهلوها وإخوتها
 إن يشركوني في ليلي فلا رجعت
 أغير ليلاي نادوا أم بها هتفوا
 إذا سمعت اسم ليلي ثبت من خبلي
 كسا النداء اسمها حسناً وحببته
 ليلى! لعلّي مجنونٌ يحيل لي؟

نشوان في جنبات الصدر عربيد
 وهل ترنم في المزمار داود
 سحرٌ لعمرى له في السمع تريدي
 كما تردّد في الأيك الأغاريد
 أم المنادون عشاقٌ معاميد
 جبالٌ نجد لهم صوتاً ولا البيد
 فداء ليلي اليالي الخرد الغيد
 وثاب ما صرعت مني العناقيد
 حتى كأن اسمها بشرى أو العيد
 لا الحي نادوا على ليلي ولا نودوا

ابن عوف:

لا تكتئب وتعال يا قيس استرخ
 مما تكابد في الهوى وتلاقي

قيس:

هل أنت آسٍ يا أميرُ جراحتي أم أنت من سحر الصباية راقٍ؟

ابن عوف:

بل من رُواتك قيسٌ من زمنٍ مضى لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق

قيس:

قل للخليفة يابنَ عوفٍ في غدٍ
هدرتُ حكومتهُ دمي فتحرّشتُ
مَنْذًا أباح له دمَ العشاق؟
بدمٍ على سيفِ الجفونِ مُراقٍ

ابن عوف:

أرضيتني عند الخليفة شافعًا؟ يا قيس

قيس (في أنفة):

لا والواحد الخلاق

بل عند ليلي فامض فاشفع لي لدى
جئها فذكّرهما العهودَ وحفظها
ليلى إذا هي أقبلت حَقَنْت دمي
وذاكر لها عهدي وصِف ميثاقي
ليلي وناشد قلبها أشواقي
كرماً وفكّت يا أميرُ وثاقي

ابن عوف:

الآن قيسُ اذهب فبدلُ حلّة
فالصبحُ تدخلُ حيّ ليلي قيسُ في
وتَرَدَّ غيرَ ثيابِك الأخلق
ركُبي وبين بطانتِي ورفاقي

قيس (إلى زياد):

أسمعتَ ما قال الأميرُ؟ زيادُ، طُرِّ
إذهبْ وسلْ أُمِّي أعزَّ ملابسي
نحو الحمى بجناحي المشتاق
من كل شاميٍّ وكلِّ عراقي
وإذكُرْ لها فضلَ الأميرِ، ولم تزلْ
نعم الأمير قلائد الأعناق

(يسير زياد نحو الحي بينما يتمسح قيس بابن عوف كالطفل)

شكرًا لصنعِكَ يا أميرُ
عجِّلْ أمير
وُدمتَ مَقصودَ الرحابِ

ابن عوف (ضاحكًا):

بل انتظرْ
أنسيتَ يا قيسُ الثيابَ؟

قيس:

مَنْ مُبلِغُ أُمِّي الحزينةَ
ومَنْ البشيرُ إليك يا ليلي
أن عقلي اليومَ ثابٌ؟
بقيسٍ في الركابِ؟
اليومَ أهلاً بالحياة
ومرحبًا بك يا شبابًا!

الفصل الثالث

(قطعة من الصحراء تبدو في يسارها طائفة من مضارب بني عامر ممتدة إلى ما وراء اليسار على سفح جبل التوباد — خباء مضروب إلى يمين هذه الطائفة من المضارب كأنه نهاية خيام الحي — على اليمين أشجار بانٍ يقف في ظلها ابن عوف وحاشيته وقيس وزیاد)

ابن عوف:

ترأى الحي للركب
أفق قيس أما في رؤ
ألا تهتف بالشكوى
وأشرفنا على الشعب
ية الخيمات ما يُصبي؟
إلى ليلي وبالعتب

قيس:

ديار الحي من ليلي
على الحي على الدار
عدا الركب على طيب
فيا ليلي عسى اليوم
عسى الخطبة لا تنزل
عساهم لا يقولون
ولا يذهب إحساني
سلام من شح صب
على ليلي على الحب
كريح المندل الرطب
أبل الشوق بالقرب
في ناديك كالحطب
فتى مشترك اللب
ولا يبقى سوى ذنبي

مجنون ليل

يقولون بها غنِّي
سلي تُرْبِكَ كم مرَّغت
لقد غنَّيتُ من كربي
وكم جُدْتُ على الرمل
خدِّي على التُّرب
بدمعٍ مثل دمعِ التُّكْلِ
ولم أبْجَلُ على العشب
مغروفٍ من القلب

(يتطلع ابن عوف إلى ناحية الحي)

ابن عوف:

قيسُ انتبه قيس

قيس:

مَن المنادي؟

ابن عوف:

الحيُّ في السلاح سدَّ الوادي
وأنت قيسُ بعد حين غاد
على خصوم لُدِّ شِداد
فألَقَ الرجالُ صاحيَ الفؤاد
لا تَلْقَهُم مُضَيِّعَ الرشاد

قيس (متطلِّعًا كذلك):

أُتْبِصِرُ يابنَ عوفٍ حيَّ ليلي
فما لي لا أَحَقِّقُ غيرَ ليلي
تَدَجَّجَ في السلاح ولا تراها؟
لقد ألقى هوى ليلي حجابًا
وإن كثرُ السوادِ لدى حماها
وبغضتِ النصيحَ إليَّ ليلي
على عيني فلستُ أرى سواها
وسدَّ مسامعي عنه هواها

(يسمع من بعيد ومن ناحية الحي لجب وقعقة سلاح ويقترب الصوت ويتعالى شيئًا فشيئًا)

أرى حيَّ ليلى في السلاح ولا أرى
 دمي اليوم مهذورٌ ليلى وأهلها
 ليَّ الله! ماذا منك يا ليل طاف بي
 دعوني وما عندي لليلى أقوله
 أهيِّمُ فأستعدي نهارى على الجوى
 (فما أشرفُ الأيِّفاعِ إلا صبابَةٌ
 إذا الناسُ شَطَرَ البيتِ ولَّوا وجوههم
 (أصلِّي فما أدري إذا ما ذكرتُها
 توارتُ وراءَ الجَمْعِ ليلى فخانها
 وطيبٌ به خُصَّتْ حوى الطيبِ كلُّه
 فأحسستُ من فرعى لساقِيَّ هَزَّةً
 دعونا وما يبقى إذا ما فنيتمو
 مشى الحبُّ في ليلى وفيَّ من الصِّبا
 وإني وليلى للأواخر في غدِ

(يبدو على وجهه الاصفرار والجهد ثم يترنح فيتلقاه زياد — تسمع أصوات
 الحي من قريب)

ابن عوف:

زيادُ أدركه أدركُ
 لقد تضاءلَ قيسُ
 وليس قيسُ بمُلِقِ
 الآن أسعى لقيسِ
 فمِلْ بنا وبقيسِ
 إنى أرى الداءَ عادَهُ
 واصفراً مثلَ الجرادِ!
 إلا إليك قِياَدَهُ
 سعياً أخافُ فسادهُ
 حتى يُصيبَ رشادَهُ

(يحملون قيساً ويختفون به وراء شجر البان، وتظهر طلّاع الحي من
 اليسار وعلى رأسها المهدي ومنازل، وكلهم شاكي السلاح)

المهدي:

يا قومُ إنَّ البغيَّ شرُّ مركبُهُ والخيرُ في جانبٍ من يُجنِّبُهُ
هذا ابنُ عوفٍ قد أطلَّ موكبُهُ وإنَّ قيسًا في الرِّكابِ يصحبُهُ
جاء يرومُ صهرَكم ويخطبُهُ وقد علمتُم كيف ساء مذهبُهُ
وكيف طال بابنتي تشبُّبُهُ

صوت:

كلُّهُ إلى سيوفنا تؤدُّبُهُ لقد وجدناه وكنا نرقبُهُ

المهدي:

لا، دمُ قيسٍ دُمنا لا نقرَّبُهُ يكفيه مِنَّا أننا نحَيِّبُهُ
ونصرفُ الأميرَ عمَّا يطلبُهُ

صوت آخر:

شيخُ الحمى لا تضعفِ ولا تترددْ وقف
دُدْ عن عقيلة الحمى وامنع حياضَ الشرفِ
لا تُصغِ للشافعِ في قيسٍ ولا المستعطفِ
ليس ابنُ عوفٍ في الذي سعى له بالمنصفِ
أبالأميرِ بعد ما أجار قيسًا تحتفي؟
لا تخشْ بأسه ومن رجاله لا تخف
نحن كعثمانَ ولىلى بيننا كالمُصحفِ

(يظهر ابن عوف وحاشيته من وراء الشجر ومعهم زياد)

ابن عوف:

عَمُّ أبا لَيْلى صَباحًا

المهدي:

عَمُّ صَباحًا يابنَ عَوْفٍ

ابن عوف:

قل لهم يُلقُوا السِّلاحا ليس ذا مَوْطنَ خوف

صوت من الحي:

يابنَ عَوْفٍ يا أَميرُ ليس ذا شَأنَ الوِلاةِ
كيف تَحمي وتُجيزُ مُستَبيحَ الحُرُماتِ؟

ابن عوف:

عَامِرُ يا أَجاوِدَ البِطاحِ وأَسْمَحَ الناسِ بَطونَ راحِ
ما لي وللسيوفِ والرماحِ؟ ضيفُ أنا وما من السِّماحِ
رَدك وجَهَ الضيفِ بالسِّلاحِ ما جئتُكم يا قومُ للكفاحِ
بل جئتُ للتوفيقِ والإصلاحِ

(تحدث ضجة في جانب الحي وتصايح وتهامس ثم يلقي كثير منهم السلاح ويغمد السيوف)

صوت من الحي:

يا أبا لَيْلى بليلى جُدْ لقيسٍ بالحياةِ
إنه شاعرُ نجدِ ونَجِيُّ الطَّبِيباتِ

صوت آخر:

قيسُ أَخُ وابنُ عمِّ وليس أهلاً لذمِّ
نجمُ أضاء بنجد سما على كل نجم
هبوه جُنَّ بليلي ليس الغرامُ بجُرم

منازل (حيث يستقبل الجمعين خطيباً):

إن قيساً معشرَ الحي أَخُ وابنُ عمِّ أقمناه تبرءون؟

أصوات:

لا وربَّ البيت

منازل:

أصغوا لي إذن ثم ظنوا كيف شتّم بي الظنون
إن قيساً شاعرُ البيد الذي لا يُجارى أفأنتم مُنكرون؟

أصوات:

لا وربَّ البيت

منازل:

أصغوا لي إذن ثم ظنوا كيف شتّم بي الظنون
إن قيساً سيِّدٌ من عامرٍ وابنُ سادات، أفيه تمترون؟

أصوات:

لا وربّ البيت

منازل:

أصغوا لي إذنُ ثم ظنوا كيف شتّم بي الظنونُ
إن قيسًا قد بنى المجدَ لكم ولنجدِ أبقيسٍ تكفرون؟

أصوات:

لا وربّ البيت

منازل:

أصغوا لي إذنُ ثم ظنوا كيف شتّم بي الظنونُ
إن قيسًا كاملٌ في عقله أوأنستم على قيس الجنون؟

أصوات:

لا وربّ البيت

منازل:

أصغوا لي إذنُ ثم ظنوا كيف شتّم بي الظنونُ
أنا لم أعِدْ بقريسٍ شاعرًا لا ولا أنتم بقريسٍ تعدلون

أصوات:

لا وربّ البيت

منازل:

أصغوا لي إذن أنا في ودي وإعجابي به
شعره يبقى ويفنى غيره شعر قيس عبقرئ خالداً
ولو ان المتجني شاعر رب شعر قال في ليلي، به
إنني أخشى عليكم عازره ضجرت ليلي وضجت أمها
وعدا كل فتى من عامر ثم ظنوا كيف شتمت بي الظنون
لا يدانيني الرواة المعجبون ليس كل الشعر ترويه القرون
ليته لم يتخلله المجون غير قيس أوشك الخطب يهون
هتف البدو وضج الحاضرون رب عار ليس تمحوه السنون
وأبوها وتأذى الأقربون حين يلقي الناس، محني الجبين

أصوات كثيرة:

هو ما قلت

منازل:

إذن ما بالكم هو ذا قيس مع الوالي أتى
وأبو ليلي امرؤ أدري له بعد حين يعبث القوم بكم
آن يا قوم لكم أن تعلموا قيس لم يترك لليلي حرمه
لم تثوروا، ما لكم لا تغضبون؟ يطأ الحي وأنتم تنظرون
رقة القلب وأخشى أن يلين ومن الحي بليلى يخرجون
أن قيساً هتك الخدر المصون ما الذي أنتم بقيس فاعلون

صوت:

ماجن لا بد من تأديبه

صوت آخر:

إِن بِالسَّوْطِ يُرَبِّي المَاجِنُونَ

صوت:

نَأْخِذُ الحَيِّ عَلَيْهِ

آخر:

وَلِنَنقُفُ دُونَ لَيْلَى وَحَمَاهَا كَالْحِصُونِ

منازل:

حَلَّ السُّلْطَانِ بِالأَمْسِ لَكُمْ دَمَ قَيْسٍ مَا الَّذِي تَنْتَظِرُونَ؟

صوت:

حَلَّ السُّلْطَانِ بِالأَمْسِ لَنَا دَمَ _____

أصوات أخرى:

إِنَّا بِقَيْسٍ فَاتَكُونِ

(ضجيج واندفاع)

صوت:

مُنَازِ يَابْنَ العَمِّ مَا هَذَا الخَبْرُ؟ رَفَعْتَ قَيْسًا فَجَعَلْتَهُ القَمْرُ
وَالآنَ أَغْرَيْتَ بِقَتْلِهِ الزُّمْرُ كَفَعَلَ جَزَارِ اليَهُودِ بِالبَقْرِ
بِرَّأهَا مِنَ العَيُوبِ وَعَقَّرُ!

بشر:

قف!

منازل:

ما لك يا بشرٌ ولي؟ إن حربَ الأهلِ والصحبِ جُنون

بشر:

لِمَ إذن حاربتَ قيسًا لم تصُنِ حرمةَ ابنِ العمِ أو حقَّ الخدين؟

منازل:

قلتُ بشرُ الحقِّ

بشر:

خَلَّ الحقُّ ما أنتَ واللهِ على الحقِّ أمين
إنَّما أنتَ لقيسٍ حاسدٌ منطوي الصدرِ على الحقدِ المَهِين
كلما حَدَّثتَ عنه عامرًا قرأتُ في وجهك الداءَ الدفين
ترسلُ الزفرةَ تتلو أختها وتَفُشُّ الصدرَ من حينٍ لحين
يا منازلِ يا بنِ عمِّي أصغ لي أنتَ دونَ أنتَ دونَ أنتَ!

منازل:

دعوني

مجنون ليل

بشر (من المنبر):

دعوني فلا بدّ لي

رجل:

أناك

بشر:

لا بد أن أقتله

منازل:

دعوني

بشر:

دعوني

رجل:

دعوه اتركوه

آخر:

ومن كَتَّفَ النَّذْلَ أَوْ كَبَّلَهُ

منازل:

دعوني

رجل:

دعوه

آخر:

كلا البَطْلَيْنِ يَقُولُ الوَعِيدَ وَلَنْ يَفْعَلَهُ

بشر:

دعوني

رجل:

تَقَدَّمَ

منازل:

دعوني

رجل:

انطَلِقُ

بشر:

دعوني

رجل:

جِئْهُ

مجنون ليل

منازل:

دعوني

رجل:

امش لَه

آخر:

تَنحَوْا وَخَلُّوا سَبِيلِيَهُمَا وَلَا تَخْشَوْا الْوَقْعَةَ الْمَقْبَلَةَ

بشر:

منازلُ في عقله كاملُ

منازل:

وعقلك يا بشرُ ما أكملُه

بشر:

أَنْنَزُو عَلَى الْحَيِّ نَزْوَ الدِّيُوكِ وَنَقْفِرُ كَالْأَكْبُشِ الْمَرْسَلَةِ
وَتَفَلِقُ رَأْسِي كَرْمَانَةَ وَأَفَلِقُ رَأْسَكَ كَالْحَنْظَلَةَ
فَمَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْعَوِيلُ وَمَاذَا انْتِفَاعِي بِالْوَلُولَةِ؟

زياد:

منازلُ كنت كثير الكلام ووالله ما قلت إلا الكذبُ

صوت:

أَتَزَعُمُهُ كَاذِبًا يَا زِيَادُ وَقَدْ زَادَ عَنْ حُرْمَاتِ الْعَرَبِ؟

زياد:

رَوَيْدَكَ لَا تَتَخَدِعُ يَا فَتَى وَلَا تَأْخُذُ الْأَمْرَ دُونَ السَّبَبِ
فَلَمْ يَبِغْ إِلَّا خِدَاعَ الْجُمُوعِ وَجَلَبَ الظَّنُونَ وَخَلَقَ الرَّيْبُ
وَأَثَّرَ فِيكُمْ وَفِي آخِرِينَ وَأَفْرَغَ فِيكُمْ سُمُومَ الرُّقُبِ

صوت:

مَنَازِلُ دَافِعَ عَنِ سُنَّةِ مُعْظَمَةٍ مِنْ قَدِيمِ الْحِقَبِ

زياد:

تَأْمَلُ مَنَازِلُ سُخْطِ الْجُمُوعِ وَجَهْلِكَ مَاذَا عَلَيْهِمْ جَلْبُ!
أَجَلٌ قَدْ غَضِبْتَ وَلَكِنَّمَا لِنَفْسِكَ لَيْسَ لِلْيَلَى الْغَضَبُ
تَحْضُّ عَلَى قَتْلِ قَيْسِ الرِّجَالِ لِتَحْظَى بِلَيْلَى إِذَا مَا ذَهَبَ

أصوات:

يُرِيدُ لِيَحْظَى بِلَيْلَى

زياد:

نعم!

مجنون ليلى

صوت:

تكلم

صوت آخر:

أَبْنُ

ثالث:

إن هذا عجب!

زياد:

سلوه أَلَمْ يَكُ يَغْشَى النَّدِيَّ وَيَطْلُبُ لَيْلَى أَشَدَّ الطَّلَبِ؟

صوت (يخاطب المهدي):

إذن كان يخطبُ ليلى

المهدي:

نعم

صوت:

إذن قد تجنَّى

صوت آخر:

إذن قد كذَّب!

زياد:

منازلُ قلْ لهمو كمْ ضرعتْ لليلى وكمْ أعرضتْ لمْ تُجِبْ

صوت:

منازلُ اخدعْ وُغشْ غيري

آخر:

قدْ جازْ إلَّا عليَّ كِذْبُكْ!

ثالث:

ما أنتَ إلَّا جوْ شقيُّ تحبُّ ليلى ولا تُحبُّكْ!

(تحدث ضجة حول منازل ويقف ثلاثة رجال في ركن قصي من أركان المسرح يتحدثون)

الأول:

قد اختلف الحيُّ في أمر قيس وليلى فكلُّ له مذهبُ
وأنتَ إلى أيِّ رأيٍ تميلُ وأي الفريقين تستصوبُ

الثاني:

إذا صدقتْ نظرتي في الأمور ولي نظرة قلِّمًا تكذبُ
منازلُ غادر على خيبةٍ وقيسُ على فضله أخببُ
وقد يُخفقان ويلقى النجاحَ غريبُ له فيكمو مأربُ

مجنون ليل

الأول:

غريبٌ؟

الثاني:

أجل من نواحي تَقِيْفٍ

الأول:

ومَن ذاك؟

الثاني:

وَرَدُ

الأول:

وما يَطْلُبُ؟

الثالث:

رأيناه في الحي يمشي الحياءَ وقيل أتى عامراً يخطبُ

الأول:

وليلي ابنة الشيخ ما رأيها أما من حسابٍ لها يُحسبُ؟

الثاني:

أراها وإن لم تخطَّ الشبابَ عجوزًا على الرأي لا تُغلبَ

الفصل الثالث

تصونُ القديمَ وترعى الرميمَ
وبالجاهليةِ إعجابُها
ومن سُنَّةِ البيدِ نفضُ الأكفِّ
فلا تعجبوا إن جرى حادثٌ
وإن رَضِيَتْ وردَ بعلاً لها
فيا طالما التمست مهرباً
وتُعطي التقاليدَ ما توجب
إذا قل بالسلف المعجبُ
من العاشقين إذا شَبَّوا
يُحدث عنه ويُستغرب
وقيسُ الأحبُّ لها الأقرب
وأرضُ ثقيفٍ هي المهرب

منازل:

بني عامرٍ لا تُضيعوا الحُومَ
هبوا لي أذانكم إنني
خطبتُ وأخطبُ ليلي غداً
وقد تُعرضُ اليومَ ليلي فلا
فما قيسُ أجدرُ مني بها
فإن الأناة بكم أجملُ
أجدُّ وصاحبُكم يَهزِلُ
وما لي يا قومُ لا أفعلُ
أضيقُ، عسى في غدٍ تُقبلُ
ولا هو خيرٌ ولا أفضل

زياد:

إليك منازلُ! لا تتَّزِنُ
ولا يستوي الشاعرُ العبقرى
بقيسٍ قد اختلف المنزلُ!
ومن هو من باقلٍ أبقل

منازل:

وما أنت؟ بين لنا يا زياد

زياد (ممسكاً بذراع منازل):

ستعلم مني ما تجهل
هلمَّ مُناز، هلمَّ الصراعُ!
وودَّع ضلوعك وأنع الذراعُ

منازل:

خَلَّ زِيَادُ خَلٍّ عَنِ ذِرَاعِي

زياد:

سَأَلْتِ مَا أَنْتِ؟ فَأَصْنَعِ، رَاعِ
إِنِّي أَنَا مَمْرُقُ الْأَضْلَاعِ!

(ثم يجره من ذراعه ويمضي به إلى خارج المسرح)

صوت:

ماذا يكون يا ترى؟

آخر:

هَيَّوْا نَرَى هَيَّوْا نَرَى

آخر (وهم يتدافعون):

زِيَادُ غَيْرُ هَازِلٍ

آخر:

نُوحُوا عَلَى مَنَازِلِ

آخر:

حَمَامَةٌ وَبَازِي

آخر:

هلكت يا مناز!

آخر (من بعيد):

أهرب من البراز

(يخلو المسرح الآن إلا من المهدي وابن عوف ونصيب ثم تسمع صرخة من وراء الشجر)

مهدي:

ما بقيس يابن عوف؟

ابن عوف:

إنه مغمى عليه

مهدي:

قيس لا بأس عليك كبروا في أذنيه

صوت (من وراء الشجر):

الله أكبر الله أكبر

ابن عوف (لنفسه):

سُدِّي كبروا ما أذن قيس مفيقة وإن سكبوا فيها أذان بلال
ولكن على ليلي يُفِيقُ وشبهها إذا ما بدت ليلي بشكل غزال

ويصحو على ليلى إذا رُدَّدَ اسْمُهَا وراءَ بُيوتِ أو وراءَ رِحال

المهدي:

دَمُ الْوُدِّ وَالْقَرَبَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا
وإني لإنسانٍ وإني لوالدٌ
فرفقًا بقيس يا أميرٌ ونَحَّه
عزيرٌ علينا أن نراه يسيل
ولي مذهبٌ في الوالدين جميل
بعيدًا لعل الشرَّ عنه يزولُ

ابن عوف:

أناةً أبا ليلى وحِلْمًا ولا يَكُنْ
رددتم ركابي واتهمتم زيارتي
تأملُ تجدُ جَمْعًا مَغِيظًا وكثرةً
رءوسٌ تنزى الشرُّ فيها وراءها
تطلبُ أن يلقى إليها بجُتَّةٍ
نواظرٌ ما يأتي به اليومُ من دمٍ
نزلتُ فلم أكرمُ فهل أنت مُتبعي
أبيتُم عليَّ القولَ قبل استماعه
فهل لي أبا ليلى بناديك وقفه
وما أنا مرءُ السوءِ أو رجلُ الأذى
ولم أتخذُ جاهَ الأمورِ ذريعةً
عليك لطغيان الظنون سبيل
وأجلبَ فتیانٌ وضجَّ كهول
تصولُ وما تدري علامَ تصول!
نفوسُ ذئابٍ ما لهن عقول
على غير جوعٍ أو يساقٍ قتيل
وإن لم يساورها صدى وغليل
وقومك نارَ الطرد حين أميل؟
فلم تُنصفوا والمنصفون قليل
فإن الذي قد جئتُ فيه جليل
ولكن سفيرٌ خيرٌ ورسول
ألا إنما جاهُ الأمورِ يزول

المهدي:

بقيتم بخير يا ولاة أمية ولا زال يقوى ركنكم ويطول

(مشيرًا إلى باب الخباء)

هنا مجلسٌ ناوي إليه لعلني أقولُ صوابًا أو عساک تقول

الفصل الثالث

وَتَمَّ تَرَى لَيْلَى وَتَسْمَعُ قَوْلَهَا وَلَيْلَى لَهَا رَأْيٌ يُسَاقُ جَمِيلٌ
فَسَلُّهَا عَسَى أَنْ نَهْتَدِي مَا جَوَابُهَا إِبَاءَ وَرُدُّ أَوْ رَضَى وَقَبُولٌ

(يهم ابن عوف بخلع نعليه)

المهدي:

أَتَخَلَّعُ نَعْلِكَ لَا يَابْنَ عَوْفُ نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لَا تَفْعَلْ
أَتَمْشِي إِلَى مَنْزَلِي حَافِيًا فديتك، من أنا؟ ما منزلي؟

ابن عوف:

خَلَعْتُهُمَا وَانْتَعَلْتُ التَّرَابَ إِلَى حَيْمَةِ السَّيِّدِ الْمَفْضِلِ

نصيب (متدخلًا):

دَعُهُ يَا مَهْدِيَّ يَفْعَلُ إِنَّمَا يَرْمِي لِمَعْنَى
كَالْحَسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ هُوَ بِالْعِشَاقِ يُعْنَى
الْحَسَيْنُ انْتَعَلَ التَّرَابَ إِلَى وَالِدِ لُبْنَى
فَرَأَهُ حَافِيًا فِي سَاحَةِ الدَّارِ فَجَنَّا

قَالَ لَا أَمْلِكُ يَابْنَ الْمُصْطَفَى بِنْتًا وَلَا ابْنًا
أَنْتَ فِي الدَّارِ أَمِيرٌ فَبِمَا شِئْتَ فَمُرْنَا

(لنفسه)

يَا دَهْرُ دُرِّ بَمَا تَشَا وَيَا حَوَادِثُ اهْزَلِي!
وَيَا وَظِيفَةَ اعْزُبِي وَيَا جَرَايَةَ ارْحَلِي
يَبْغِي ابْنَ عَوْفٍ أَنْ يَكُو نَ كَالْحَسَيْنِ بْنِ عَلِي!

(يدخلان وينادي المهدي)

مجنون ليلى

هو الضيفُ يا ليلَ هاتي الرُّطْبُ وهاتي الشُّواءَ وهاتي الحَلْبُ
وهاتي من الشهد ما يُشْتَهَى ومن سَمَنَةَ الحَيِّ ما يُطَلَّبُ
فما هو ضيفُ ككلِّ الضيو ف ولكن أميرُ كريمُ الحَسَبُ

ليلى (من وراء حجاب):

أبي ألفَ لبيك!

ابن عوف:

لا بل قففي فما بي ظمأٌ ولا بي سَعْبُ
وأعلمُ أن القري دِينُكم وأن أباك جوادُ العربِ
ولكن طعامي

المهدي:

ماذا؟ اقتَرِحْ

ابن عوف:

طعامُ الرسول بلوغُ الأربِ

المهدي:

إذن قفي ليلى اقربى

(تظهر ليلى من وراء الستر)

تقدِّمي ورحِّبي

الفصل الثالث

حلّ ابنُ عوفٍ دارنا

ليلي:

أكرمُ به وأحبب!
قد زارنا الغيثُ فأهلاً بالغمام الصَّيبُ

ابن عوف:

أهلاً بليلى بالجمالِ بالحجى بالأدبِ
عشتِ وقيساً فلقد نوّهتما بالعرب

ليلي (بين الخجل والغضب):

أتقرنُ قيساً بنا يا أميرُ؟

ابن عوف:

ولمّ لا وقد جئتُ من أجله
ومَنْ أنا حتى أضُمَّ القلوبَ وأعطفَ شكلاً على شكله
لقد جمعَ الحبُّ رُوحَيْكما وما زالَ يجمعُ في حبله

ليلي (في استحياء):

أجلُ يا أميرُ عرَفْتُ الهوى

ابن عوف:

فهللاً عطفتِ على أهله؟

(يلتفت إلى المهدي)

الفصل الثالث

ولا يَفْتَكِرُ ساعةً بالزواجِ ولو كان مَرَوَانُ من رُسُلِهِ

ابن عوف:

إذن لن تقبلي قيسًا ولن ترصني به بعلا
إذن أخفق مسعائي وخاب القصدُ يا ليلي

ليلى:

على أنك مشكورٌ ولا أنسى لك الفضلا
وأوصيك بقيس الخير لا زلت له أهلا
لقد يُعوِزُه حامٍ فكنه أيها المولى

(تلتفت إلى أبيها وكأنما تحاول أن تحبس في عينها دموعًا)

أبي كان وردٌ ههنا منذ ساعةٍ ففيم أتى؟ ما يبتغي؟

المهدي:

جاء يخطُبُ

ابن عوف:

ومن وردٌ يا ليلي وهل تعرفينه؟

ليلى:

فتى من ثقيفٍ خالصُ القلبِ طيبُ
أتى خاطبًا بعد افتضاحي بغيره وعاري، أهذا يابن عوفٍ يُخَيَّبُ؟
أبي: أين وردٌ الآن؟

المهدي:

عند قرابةٍ من الحيِّ ضمُّوهُ إليه ورَحَّبوا
فإن شئتِ أرسلنا إليه

ليلى:

ابْعَثْ ادْعُهُ وَجِئْنَا بقاضي نجدِ اليوم يكتب

ابن عوف:

تجاوزت ليلى غاية السُّخْطِ فاذكري عواقبَ رأيٍ قد رأيتِ سخيْفِ

ليلى (متهكمة):

أكنتُ ابنَ عوفٍ غيرَ أنتى ضعيفةً تناهتُ لرأى في الأمورِ ضعيفِ

ابن عوف:

أرى وقفتي يا ليلَ كانت شريفةً ولكنْ جزائي كان غيرَ شريفِ

ليلى:

أنظفُ ثوبي يا أميرُ فطالما ظهرتُ به في الحيِّ غيرَ نظيفِ

ابن عوف:

لئن كنتِ يا ليلى بورِدِ قريرةً فإنني على قيسٍ لجدُّ أسيفِ

(ثم يخاطب أباهَا)

أَلَنْ بِحَفْظِ اللَّهِ يَا سَيِّدَ الْحَمَى لَقَدْ طَالَ لُبْثِي عِنْدَكُمْ وَوَقُوفِي
وَوُفِّقْتِ يَا لَيْلَى

ليلى:

لَقَدْ كُنْتُ سَيِّدِي حَلِيفًا لَقَيْسٍ، هَلْ تَكُونُ حَلِيفِي!

ابن عوف:

سَأَلْتِ مُحَالًا إِنَّمَا جِئْتُ خَاطِبًا لُورِدَ الْقَوَافِي لَا لُورِدَ تَقِيفًا!

(يُخْرَجُ مِنْ بَابِ الْخَبَاءِ وَيُشِيعُهُ الْمَهْدِي إِلَى مَا وَرَاءَ شَجَرِ الْبَانِ)

ليلى:

رَبَّاهُ مَاذَا قَلْتُ! مَاذَا كَانَ مِنْ
فِي مَوْقِفِ كَانَ ابْنُ عَوْفٍ مُحَسَّنًا
فَزَعَمْتُ قَيْسًا نَالِنِي بِمَسَاءَةٍ
وَالنَّفْسُ تَعَلَّمُ أَنْ قَيْسًا قَدْ بَنَى
لَوْلَا قِصَائِدُهُ الَّتِي نَوَّهَنَ بِي
نَجْدٌ غَدًّا يَطْوَى وَيَفْنَى أَهْلَهُ
مَا لِي غَضِبْتُ فِضَاعَ أَمْرِي مِنْ يَدِي
قَالُوا انظُرِي مَا تَحْكَمِينَ فَلَيتَنِي
مَا زِلْتَ أَهْذِي بِالْوَسَاوِسِ سَاعَةً
وَكَأَنْنِي مَأْمُورَةٌ وَكَأَنْمَا
قَدَّرْتُ أَشْيَاءَ وَقَدَّرَ غَيْرَهَا

شَأْنُ الْأَمِيرِ الْأَزْيَجِيِّ وَشَانِي؟
فِيهِ وَكُنْتُ قَلِيلَةَ الْإِحْسَانِ
وَرَمَى حَجَابِي أَوْ أَذَالَ صِيَانِي
مَجْدِي وَقَيْسٌ لِلْمَكَارِمِ بَانَ
فِي الْبَيْدِ مَا عَلِمَ الزَّمَانُ مَكَانِي
وَقَصِيدَ قَيْسٍ فِيَّ لَيْسَ بِفَانَ
وَالْأَمْرُ يُخْرَجُ مِنْ يَدِ الْغَضْبَانِ
أَبْصَرْتُ رَشْدِي أَوْ مَلَكَتْ عِنَانِي
حَتَّى قَتَلْتَ اثْنَيْنِ بِالْهَذْيَانِ
قَدْ كَانَ شَيْطَانٌ يَقُودُ لِسَانِي
حِظٌّ يَحُطُّ مَصَايِرَ الْإِنْسَانِ

الفصل الرابع

المنظر الأول

(حول ديار بني ثقيف، في قرية من قرى الجن، حيث اجتمعت طائفة منهم للحفاوة بقيس وهو يهيم على وجهه ضالاً في الفلوات، وبينهم شاب منهم في شكل إنسي جميل الثياب يتردى الحرير من فرعه إلى قدمه، وعلى رأسه عقالان من الحرير المحلى بالذهب، هو الأموي شيطان قيس – الجميع ينشدون ويرقصون)

نشيد الجن:

هذا الأصيلُ كالذهبِ	يسيلُ بالمرأى العجبُ
على الوهادِ والكُتُبِ	
الرقصُ يبعثُ الطربُ	هلمَّ يا جنَّ العربِ
هلمَّ رقصَةَ اللَّهَبِ	إذا مشى على الحطبِ
نحنو بنو جهنَّمَ	نغلي كما تغلي دَمًا
نثور في الأرضِ كما	ثارَ أبونا في السما
نحن بنو الجبارِ	العَلَمِ المنارِ
إبليسَ بكرِ النارِ	يا عزَّ من له انتمى
نحن الرُّعُودُ القاصِفُه	نحن الرياحُ العاصِفُه
والظلماتُ الزاحِفُه	عرممًا عرممًا

مجنون ليلى

لنا وما لنا صُورَ نرى ونسمَعُ البشر
ولا يَرَوْنَ من حَضَرَ منا ومن تكَلَّمَا
نقول حينَ نصطدمُ بسادِةٍ أو بِخَدم
صمم صمم صمم عَمَى عَمَى عَمَى

هبيد:

فيمَ اجتمَعْنَا ههنا؟ يا عَضْرُفُوتُ ما الخبر؟

عضرفوت:

لا أدِرِ ... تلك ضجَّةٌ حضرْتُها فيمن حَضَرَ
فسل أخاك عَسْرًا

هبيد:

ماذا هناك يا عَسْرُ؟

عسر:

نحن مسوقونَ إلى ما ليسَ ندرِي كالبقرِ

الأموي:

بني الجنِّ في أرضكم عابِرٌ من الإنسِ يرسُفُ في ضُرِّه
فغالوا بهِ واعلموا أنه فتَى نَبَهَ الشُّعْرُ من قدره

هبيد:

وأينَ تَرَى هو؟

آخر:

ماذا يكون

الأموي:

وماذا يُهْمُكَ من أمره
ألم تعلموا أن لي صاحبًا من الإنس أحكم في شعره

هبيد:

أجل أنت تُوجي له ما يقولُ
وتقذفُ ما شئت في فكره

الأموي:

إذن فاعلموا أنه عاشق
تملأَت البيدُ من ذكره

عاصف:

وأعلم أن الهوى واحد
وأن التي سحرت قلبه
حوى المستهامين في أسرهِ
مدلَّهُ القلب من سحره

الأموي:

وإني لأكفُلُ ليلى له
سَهْرَتُ على طُهر ليلى الزمانِ
صَرَفْتُ عن الحب حتى الزواجِ
ولو أن عيني تَشَقُّ القبورِ
وأصْرِفُها عن هوى غيرهِ
ولم أغمِضِ العينَ عن طُهرهِ
وما قدَّسَ الله من سرهِ
سَهْرَتُ على الحبِّ في قبرهِ!

مجنون ليل

عضرفوت:

ومن يكون

الأموي:

قيس

عضرفوت:

من قيس؟

عاصف:

وهل يخفى القمر!

الشاعرُ الذي سحر والساحر الذي شَعَرَ
حَنْجَرَةً لنا وترُ منها وللإنس وتر

هبيد:

وما لنا يا عضرفوتُ ولفتيان البشرُ؟
وما لِقينا منهمو ومن أبيهم غير شر!

عضرفوت:

بني الجنِّ اسمعوا أبكم زكأم

جني:

ولم؟

عزرفوت:

تَنَنْتَ لَعَمْرُكُمُ الْجَوَاءُ

آخر:

وما في الجو؟

عزرفوت:

ريحٌ آدميُّ إذا البشريُّ مرَّ عليَّ يوماً
ففيه نَتَانَةٌ وله ذكاءٌ
فقد مرَّت عليَّ الحُنْفَسَاءُ

جني:

أجل بعداوة البَشْرِ ابْتَلِينَا
مضى بالكبر إبليسُ أبونا
يَعِيبُ رَجَالَهُمْ فَيَقَالُ عِينَا
وكلُّ تراثِ آدمَ كبرياء
وتَدْفِنُ عَارَهَا فِينَا النساءُ
من الجنِّيِّ ليس له دواء
وإن عَجَزَ المطبب قال داءٌ
وإن قَفَزَتْ صغارهمو فزَلَّتْ
فمنا معشرَ الجنِّ البلاءُ
فما عصم الحجاب ولا الخفاءُ
وكم متعوذٍ بالله منا
تعوذ الأرضُ منه والسماءُ!

عزرفوت:

وقد نشكو من الناس التجني و ننسى ما جناه الأنبياء

جني:

أُرْسِلُ اللهُ أَيْضًا مِنْ عِدَانَا؟

آخرون:

وماذا في القمام؟

عزرفوت:

أبرياء!

جني:

ومن ذا زجهم فيها

عزرفوت:

أَمْ يَرَى
نَبِيٌّ فَهُوَ عَدْلٌ حَيْثُ يَقْضِي
عَلَيْنَا لَا يُرَدُّ لَهُ قِضَاءٌ
وَمَلَكٌ فَهُوَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ!

عاصف:

قيس يا قوم منكمو ليس قيس من البشر

جني:

قيس منّا وإنما في بني عامرٍ ظهر

آخر:

إنني قد رأيتُه يتقلّى على الشجر

ثالث:

وسمعناهُ قد عوى عَوَّةَ الجِنِّ واستتر

رابع:

أنا أيضًا رأيتُه ركبَ الطَّبِيَّ في السفر

عاصف (متطلعًا):

تعالوا فانظروا

(يتطلع الجميع إلى حيث ينظر)

جني:

ماذا؟

آخر:

عجيبُ

عصفوت:

نرى شبحًا يُدحرجُه الفضاءُ
أقْيَسُ ذَا؟

عاصف:

نعم هو فاستعدُّوا فقد وجب التحفُّزُ واللقاء

هبيد (لجني آخر):

تأملُ قيسًا المُضنى تجده من الذَّوبان أصبح كالخيالِ

الآخر:

لقد ضلَّ الطريقَ أما تراهُ يُصَفِّقُ باليمينِ وبالشَّمالِ؟
وقد قلبَ الثيابَ عليه نَهَجًا على عاداتهم عند الضلال

(يظهر قيس فيلتفون حوله وينشدون)

وسلطانَ المُحبينَا سلامٌ مَلِكِ الحَبِّ
لقد شُرِّفَ وادينَا وأهلًا وعلى الرحبِ
يُحيُّونك بالوردِ أتى الجنُّ من الوادي
إلى ناديك من بُعدِ حدا ركبهم الحادي

(يتلفت قيس ذات اليمين وذات الشمال)

رَبِّ إلى أين انتهت بِي السُّرى وأيَّ وادٍ أنزلتني يا تُرى
عساي في الشامِ لعلِّي جُرْتُه أو أنا بالطائفِ أو أين أنا؟
وهذه المُسوخُ حولي جنَّةٌ أم عملُ الوهمِ وتهويلُ الكرى
لا، أنا صاح

(يتحسس جسمه)

هذه رجلي وذي يدي وتلك مُقلتي يَقْضِي تَرى
ولمَ لا أومنُ بالجنِّ وأن تكون للجنَّةِ كالنَّاسِ قُرى؟
لا أدعي معرفةً بعالمٍ ظاهره أكثرُ منه ما اختفى

(يمسح جبينه ويعيد النظر والتطلع)

تلك من الجنِّ لعمري شَرِّدَمَهُ وهذه خيلهمو المُسَوِّمَهُ
نعامة كالفرس المطَّهَّمَهُ وأرنبٌ مُسَرَّجَةٌ ومُلْجَمَهُ
وَقُنْفُذٌ وظَبِيَّةٌ وشَيْهَمَهُ
يا عجبًا كلَّ العجب! الجنُّ مني عن كَثْبِ
سودٌ دقاقٌ في العيون كالذُّحَّانِ في الحطبِ
يخرجُ من أفواهاها ومن عيونها اللهبُ
من كلِّ من جال بقر نيَّه وصال بالذَّنْبِ

الجان:

نَبِيَّ الحَبِّ لا تَخَش أَدَى أو شِرَّةً مِنَّا
عَطَفْتَ الطيرَ والوحشَا فلمِ لا تَعْطِفُ الجِنَّا؟
وسلَّ حَسَانَ والأعشى وشيطانَيْهِمَا عَنَّا

الأموي:

تركتُ ورائي الشامَ لم أنتفعَ به ولا هو من شوقي القديم شفاني
وعدتُ إلى نجدِ أقباسي صبابتي ووجدي كأنِّي ما بَرِحْتُ مكاني
تركتُكِ ليلي فانفجرتِ لياليا مؤلفَةَ الأشكالِ جَدَّ حِسانِ
فلم يَخُلْ سيري منكَ يومًا ولا السُرى ولم يخلُ من تمثالِكِ القمرانِ
على كلِّ أرضٍ من هواكِ سوارحُ ملآنَ سبيلي أو مَلَكْنَ عناني
(وأجهشتُ للتوباد حين رأيتُه وكبر للرحمنِ حين رأني)
(وأذريتُ دمعَ العينِ لما عَرَفْتُهُ ونادى بأعلى صوتِه فدعاني)

(يدنو منه قيس ويتأمله)

قيس (لنفسه):

يا ويحَ عيني ما ترى؟ وويحَ أذني ما تعي!

الفصل الرابع

وأين عقلي؟ غاب عني اليومَ أو عقلي معي؟
الشعر لي مُدَّ قَلْتُهُ من شفّتي لم يُسْمَعِ
من ذا الذي أُوْحَى به لذا الغلام المُدَّعي؟

(يقترّب من الشاب ويأخذ في انتقاده)

عَقْلَانِ يَمَانِيَّانِ مِنْ وَشِيٍّ وَعِقْفِيَّانِ
يُضِيئَانِ كَلْمَحِ الشَّمْسِ فِي جِلْدَةِ ثَعْبَانِ
وَأَيْنَ الشَّقُّقُ الْأَحْمَرُ مِنْ مَطْرِفِكَ الْقَانِي؟
وقد تقربُ في الرو عة من أملاك غسَّان
وقد تبلُغُ في الشعرِ إلى رقة حسان
فما شأنك يا هذا؟

الأموي:

وما يعينك من شاني

قيس:

أرى سارقِ أشعارِ جريئًا ما له ثانِ
فقد يُسَطِّي على بيتِ وقد يُسْرِقُ بيتانِ
ولا يَنْتَحِلُ الإنسانِ أبياتًا لإنسانِ
وما أنشدتَ من شعرِ فمن صنعي وإحساني
ولم أهتفَ به بعدُ ولم تَسْمَعْهُ أذنانِ
فمَنْ أنتَ ومِن أين أتتْ أذُنُكَ ألحاني؟

الأموي:

أنا الملقى عليك الشعر من أن إلى آن
أنا الهاجس والشيطان

قيس:

لا، لا، لست شيطاني

(ثم يناجي نفسه)

أجل سمعتُ باسم شيطاني ولكن لم أره
أبي وأمِّي حدَّثَا نِي فِي اللَّيَالِي خَبْرَهُ

(يعود إلى خطاب الأموي متردداً)

ألسْتَ أَنْتَ الْأُمَوِيُّ؟

الأموي:

لا تَخَفْ أَنْ تَذَكَرَهُ

قيس:

مَا أَنْتَ إِلَّا صَوْرَةٌ فِي عَصْبِي مَصَوَّرَةٌ
وَعِبْتُ لَوْ كَانَ عَقْلِي حَاضِرًا لِأَنْكَرَهُ

الفصل الرابع

قيس (وهو ينكت الأرض بعود):

ويحي أقيسُّ واحد أم نحن قيسان هنا؟
وأيننا الشاعر هذا الأمويُّ أم أنا؟
أم الذي بي وبه من عَبَثِ السحر بنا؟
أم أنا مجنون عَلِيَّ حبُّ ليلي قد جنى

الأموي:

قيس

قيس:

لبيك قيس

الأموي:

ما أنا قيس

قيس:

من إذن؟

الأموي:

قلتُ إنِّي شيطانهُ

قيس:

قيس من آدمٍ فما أنت منه

الأموي:

أنا من قيس عامر وجدانهُ

قيس:

أنت وجداني؟ استعدتُ بربي مــــــــــــــــــــك

الأموي:

لا تستعذ به جل شأنهُ!
هكذا شاء: كلُّ شاعرٍ قومٍ عبقرِيّ اللسان نحن لسانه

قيس (مشيحًا بوجهه ومطرقًا):

يا عَجَبًا أَصْبَحَ بِالْجَنِّ لِسَانِي يَعْمُرُ!
وصرتُ يَنْهَى مَارِدٌ عَلَى فَمِي وَيَأْمُرُ
مَا لِلْسَانِي لَا يَطْوِلُ؟ مَا لَهُ لَا يَقْصُرُ؟
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ الشَّرُّ؟

الأموي (واضعًا يده على كتف قيس):

علامَ قيس فيم أنت مُطْرِقٌ مَفْكَّرٌ؟
فِي خَبْرِي

قيس:

أجل وما صدقتُ فيما تُخبرُ
ليس لساني ماردًا إن لساني بشرُ

الأموي:

قل وحدك الشعرَ إذن!

قيس:

تظنني لا أقدرُ؟

الأموي:

جرّب إذن قل أرنا يا قيسُ كيف تشعُر!

قيس:

وما تُحبُّ

الأموي:

قريةَ الجنِّ وهذا المنظرُ
أليس فيما أنت راءٍ قيسُ ما يؤثّرُ؟

قيس:

إسمع إذن يا أموي!

الأموي:

إنني أنتظر

قيس:

وجوهٌ تصوّرُ، وفضاءٌ يزهرُ، ورمالٌ في مطارح البصر تزخرُ،
وقريّةٌ تموجُ بالجنِّ كأنها عبقرُ!

الأموي (ضاحكًا):

قه قه! تعالوا واضكوا!

(تضحك جماعة من الجن)

قيس (في غضب):

قه قه ... أمنيّ تسخرُ؟

الأموي:

ما هكذا يا شاعرَ البيدِ البيوتُ تُكسرُ

جني آخر:

إنك لا تنظّمُ يا قيسٌ ولكن تنثُرُ!

الأموي:

ما لك قيسُ مفتحًا هذا لعمرى الحصرُ!
لا يُفحمُ الشاعرُ لكن يُفحمُ الشؤيعرُ
ما لك كالعودِ الذي أدبرَ عنه الوترُ؟
ما للقوافي الأنساتِ منك قيسُ تنفرُ؟
كيف ترى لسانك الـ أن

قيس:

عليه حَجْرًا
أنتَ على مشاعري وشعري المَسِيطِرُ!
إن غبتَ غابَ خاطري وإن حضرتَ يحضُرُ

الأموي:

الآن لا تُنكرُنِي قيسُ وكنت تُنكرِ!
عجبتَ كيف تختفي الجنُّ وكيف تظهِرُ
يا قيسُ هذا عالمٌ طينته التَّجَبُّرُ
تطفئُ على رائدها صحراؤه وتغمرُ
وغاية المُمعِنِ في نظامه التحيُّرُ
مهما علمتَ عنه فالذي جهلتَ أكثرُ!

قيس:

يا أخا الجنِّ لئن كنتَ أخًا لي وخليلا
أنا في أعماءِ أرض لا أرى فيها السبيلا

الأموي:

أين تبغي قيس؟

قيس:

ليلى كن إلى ليلي الدليلًا

الأموي:

مِلْ يَمِينًا يَا أَبَا الْمَهْدِيِّ ثُمَّ امشِ قَلِيلًا
تَجِدُ الْمَنْزَلَ وَالْمَا ءَ الَّذِي يَشْفِي الْعَلِيلَا
(ينطلق قيس آخذًا يمينه مهرولاً)

المنظر الثاني

(في حي بني ثقيف بالطائف حيث ترى دار ورد على بعد قليل - ورد مضطجع على الرمل، وبجانبه رفيق من رفاقه - يقترب قيس من الخباء مناجياً نفسه)

قيس:

إِن قَلْبِي لِمَخْبِرِي أَنْ هَاتِيكَ دَارُهَا
أَنَا بِالطَّائِفِ الَّذِي قَرَّرَ فِيهِ قَرَارُهَا
فِي ثَقِيفٍ تَنْقَلِي وَثَقِيفٍ دِيَارُهَا
مَا لِسَاقِي جَرَزْتُهَا فَتَعَايَى أَنْجَارُهَا
وَلِقَلْبِي يَقُولُ لِي قَدْ تَدَانَى مَزَارُهَا
كَيْفَ لَا أَهْتَدِي لِلَيْلَى وَفِي الْقَلْبِ نَارُهَا
لَيْتَ لَيْلَايَ نُبِّئْتُ أَنْنِي الْيَوْمَ جَارُهَا

(يتبين وردًا وصاحبه)

عَجِبُ! هُدَيْتُ الدَّارَ بَعْدَ ضَلَالَةٍ مَا كَانَ شَيْطَانِي عَلَيَّ كَذُوبًا
هَذِي مَنَازِلُهَا وَذَلِكَ بَعْلُهَا بَعَثْتُ إِلَيَّ دِيَارَ لَيْلَى الطَّيِّبَا
هَذَا غَرِيمِي وَرَدُّ أَشْقَرِ كَاسِمِهِ أَتُرَاهُ أَلْبَسَ جِلْدَهُ مَقْلُوبَا!

الفصل الرابع

ما بأله افترش الأديم كأنه بخلٌ يُعْفَرُ في التراب جنوباً!

رفيق ورد:

ورد أرى من المدى القريبِ شخصاً يدبُّ نحونا كالذئب
على خطاه خشيئة المريبِ

ورد:

لِمَ لا تقولُ خيرة الغريب
لعلّه ابنُ سبيلٍ يمرُّ بالحي مرّاً
إني أراه سقيماً يجرُّ ساقيه جرّاً

(ينهض من رقدته قلقاً)

الرفيق:

عرفت من

ورد:

قيسُ به الغرامُ أضراً

الرفيق:

قيس؟

ورد:

أجل

الرفيق:

كيف أفصَى إليك؟ كيف تجرّاً

ورد:

دعني وقيساً وشأني لعل في الأمر سرّاً

(ينصرف الرجل ويتلاقى ورد وقيس)

قيس:

أهذا ورد بني ثقيف؟

ورد:

نعم الوردُ ينبتُ في رُباهَا

قيس:

وَلِمَ سُمِّيتَ وردًا لم تُلقَبْ بِقُلامِ العَشيرةِ أو غَضاها!

ورد (في سكون وحلم):

وما ضرَّ الوردَ وما عليها؟ إذا المزكومُ لم يطعمَ شذاها

قيس:

(بربك هل ضممت إليك ليلي
وهل رفقت عليك قرون ليلي
قُبَيْلَ الصبحِ أو قَبَلتَ فاها؟
رَفيْفَ الأَقْحَوَانَةِ في نداها؟)

مجنون ليل

أَلْيَّةٌ وَمَا عَلِيٌّ لَكَ يَا قَيْسُ قَسَمٌ
كَمْ مَرَّتِ اللَّيْلَةُ بِي وَاللَّيْلَتَانِ لَمْ أَنْمُ
مَنْذُ حَوْتِ دَارِي لَيْلِي مَا خَلُوتُ مِنْ نَدَمِ
كَانَتْ إِطَافَتِي بِهَا كَالوِثْنِيِّ بِالصَّنَمِ
وَرَبِّمَا جِئْتُ فِرَا شَهَا فَخَانَتْنِي الْقَدَمِ
كَأَنَّهَا لِي مَحْرَمٌ وَلَيْسَ بَيْنَنَا رَجَمِ
شَعْرُكَ يَا قَيْسُ جَنِي عَلِيٌّ هَذَا وَاجْتَرَمِ
هَيَّبَهَا فَامْتَنَعَتْ كَأَنَّهَا صَيْدُ الْحَرَمِ
وَهَبَّتْهَا لِلْحَبِّ وَالشَّعْرِ وَقَيْسِ وَالْأَلَمِ

قيس:

وَلَكِنْ تَعَالَ سَرِيٌّ ثَقِيْفِ
تَقُولُ لَقَيْتَ بِشَعْرِي الشَّقَاءَ
أَبْنُ لِي مَا لَمْ تُبَيِّنْ تَعَالَ
وَجَرَّ عَلَيْكَ بِيَانِي الْوَبَالَ
لَقَدْ قَلْتُ قَوْلًا فَأَوْجَزْتَهُ
فَبِاللَّهِ إِلَّا شَرَحْتُ الْمَقَالَ

ورد:

إِذْنِ أَصْغِ قَيْسَ

قيس:

قَلِ الصَّدْقَ وَرُدُّ

ورد:

وَهَلْ كَانَ لِي الصَّدْقُ إِلَّا خِلَالًا
فَلَوْلَاكَ مَا اخْتَرْتُ إِلَّا ثَقِيْفًا
أَغْنِي الْقِصَارَ وَأُرْوِي الطُّوَالَ
وَلَمْ أَلْقُ لِلْعَامِرِيَّاتِ بَالًا
نَهَبْتُ بِشَعْرِكَ مِنْذُ الشَّبَابِ

الفصل الرابع

أرى بين ألفاظه ظلَّ ليلي وألمحُ بين القوافي الخيالاً
فلما رُدِدْتُ وقيل القصائد والعشْقُ بين المحبِّين حالا
خرجتُ إلى حيِّها خاطباً ولم أدخِرْ دون مسعايَ مالا
بنيتُ بها فتَهَيَّبْتُهَا وأيُّ امرئٍ هابِ قبلي الحلالا
فشعركُ يا قيسُ أصلُ البلاء لقيتُ به وبليلى الضلالا
كساها جمالاً فعُلِّقْتُهَا فلما التقينا كساها جلالا
إذا جئتُها لأنالَ الحقوق نهتني قَدَّاستُها أن أنالا
أَمْسِكْ أبا المهدي!

(يستحيل كلامه إلى همس، إذ تبدو ليلي على باب الخباء)

أُنْظِرْ هَذِهِ ليلي علينا طلعت من الخبا

(ثم ينادي بصوت متهدج)

ليلي تعالِيْ أسرعِي، قيسُ أتِي ليلي هَناكِ، من تحبِّين هنا

قيس:

أمازحُ يا وردُ قل أنت أم تسخرُ مني أم تُرى تهزأ بنا؟

ورد:

بل قلتُ جدًّا لم أقلُّ مُهازلاً

قيس (هاماً بالذهاب إليها):

إذن فدعها لا تُجسِّمها الخطأ

ورد (وليلي تقترب):

إِسْمَعُ أبا المهدِيِّ همسَ خطوها كأنه وَطءُ الغزالِ في الحِصَا
دَعوتُ فاهْتَمَّتْ ولو لم أدْعُها لَوَجَدْتُ رِيحَكَ من أَقصى مَدَى
قَيْسُ تَثَبَّتْ واستَعِدَّ، هي نِي أَتَتْ، فلا يذْهَبُ بلبُّكَ اللِّقا
الآن امضِي لسبيلي

قيس:

بـل أقمم إلبث أعني، إنني خرت قوى

ورد:

قَيْسُ أرى الموقِفَ لا يجمعُنا أنت حبيبُ القلبِ والزوجُ أنا
يا لكما مني ويا لي منكما! نحن الثلاثةُ ارتطمنا بالقضا

(ينصرف وتقبل ليلي على قيس)

قيس:

ليلاي، ليلي القلب

ليلى:

قَيْسُ ما لي دارتُ بي الأَرْضُ وساءَ حالِي؟

قيس:

فذاك ليلي مهجتي ومالي من السَّقامِ ومن الهزالِ
تعالِي اشكي لي النوى تعالي أَلْقِي ذراعِيكَ على خيالِ

(تصافحه بشوق)

ليلى:

أحُقُّ حبيبَ القلبِ أنتَ بجانبِي أحلمُ سرى أم نحن منتبهان؟
أبعد تراب المهد من أرضِ عامرٍ بأرضِ ثقيفٍ نحن مغتربان؟

قيس:

حنانِيكُ ليلى، مل لخلٌ وخِلُّه من الأرضِ إلا حيث يجتمعان
فكلُّ بلادٍ قرَّبتُ منك منزلي وكلُّ مكانٍ أنت فيه مكاني

ليلى:

فما لي أرى خديك بالدمع بُللاً أمِنُ فرحِ عيناكِ تبتدران

قيس:

فداؤك ليلى الروحُ من شرِّ حادثٍ رماكِ بهذا السُّقمِ والذُّوبانِ

ليلى:

تراني إذن مهزولةً قيس؟ حبذا هُزالي ومَن كان الهُزالُ كساني

قيس:

هو الفكرُ ليلى، فيمن الفكر؟

ليلى:

في الذي تجنُّ

قيس:

كفاني ما لقيتُ كفاني

ليلى:

أأدرکتَ أن السهمَ يا قيسُ واحدٌ
وأنا كلينا للهوى هدفان؟
كلانا قيسُ مذبوحٌ
قتيلُ الأبِ والأمِّ
طعينان بسكِّينِ
من العادة والوهم
لقد زوّجتُ ممَّن لم
يكن ذوقِي ولا طعمِي
ومن يكبُرُ عن سنِّي
ومن يصغُرُ عن علمِي
غريبُ لا من الحيِّ
ولا من ولد العمِّ
ولا ثروته تربي
على مال أبي الجمِّ
فتنحن اليوم في بيت
على ضدَّين مُنضمِّ
هو السجنُ وقد لا ينطوي السجنُ على ظلم
هو القبرُ حوى ميَّتين جارين على الرُّغم
شتيتين وإن لم يبعد العظمُ من العظم
فإن القربَ بالروح
وليس القربُ بالجسم

قيس:

تعالِي نَعِشْ يا لَيْلَ في ظِلِّ قَفْرَةٍ
تعالِي إلى وادِ خَلِيٍّ وَجَدُولِ
تعالِي إلى ذَكَرَى الصَّبَا وَجَنُونِهِ
فَكَمْ قُبْلَةً يا لَيْلَ في مَيْعَةِ الصَّبَا
أَخَذْنَا وَأَعْطَيْنَا إِذَا البَهْمُ تَرْتَعِي
ولم نكُ ندرِي يَوْمَ ذلك ما الهوى
مُنَى النفسِ لَيْلَى قَرِيبِي فَكَمْ من فَمِي
نَذِقُ قُبْلَةً لا يَعْرِفُ البؤْسَ بَعْدَهَا
فَكُلُّ نَعِيمٍ في الحَيَاةِ وَغَبْطَةٌ
وَيَخْفُقُ صَدْرانَا خَفُوقًا كَأَنَّمَا

من البِيدِ لم تُنْقَلْ بِها قَدِمان
ورنَّةِ عُصْفُورٍ وَأَيْكَةِ بانٍ
وأحلامِ عَيْشٍ مِنْ دَدٍ وَأَمَانٍ
وقبَلِ الهوى لَيْسَتْ بِذاتِ مَعانٍ
وَإِذْ نحنُ خَلْفَ البَهْمِ مَسْتَتْرانٍ
ولا ما يَعُودُ القَلْبَ من خَفْقانٍ
كما لَفَّ مِنْقارِيهِما غَرْدانٍ
ولا السُّقْمَ رُوحانَا ولا الجَسَدانِ
على شَفْتينَا حينَ يَلْتَقِيانِ
مع القَلْبِ قَلْبٌ في الجِوانِحِ ثانٍ

(تنفر ليلي)

ليلى:

وكيف؟

قيس:

ولم لا

ليلى:

لَسْتَ يا قَيْسُ فاعِلاً ولا لي بما تَدْعُو إليه يَدانِ

قيس:

أَتَعْصِيتَنِي يا لَيْلَ؟

لیلی:

لَمْ أَعْصِ أَمْرِي وَلَكِنَّ صَوْتًا فِي الضمير نهاني
ووردُ يا قيس؟ وردُ ما حَفَلَتْ به لقد ذَهَلَتْ فلم تجعلُ له شأنًا

قيس (غاضبًا):

تعنين زوجك يا لیلی

لیلی (منكسة رأسها):

نعم

قيس:

ومــــتــــی أحببتِ وردًا؟ ترى أحببتِه الآنَا!

لیلی:

فيم انفجارُك؟

قيس:

من كيدٍ فُجئتُ به

لیلی:

إني أراك أبا المهدي غيرانَا
وردُ هو الزوجُ، فاعلمْ قيسُ أن له حقًا عليّ أودِّيهِ وسلطانًا

قيس:

إذن تحاببتما

ليلي:

بل أنت تظلمني فما أحبَّ سواك القلبُ إنسانًا
ولستُ بارحةً من داره أبدًا حتى يُسرِّحني فضلًا وإحسانًا
نحن الحرائرُ إن مال الزمانُ بنا لم نشكُ إلا إلى الرحمن بلوانًا

قيس:

بل تذهبين معي!

ليلي:

لا لا أخون له عهدًا، فما حاد عن عهدي ولا خانا
فتى كنبع الصفا لم يختلف خلقًا ولا تلوّن كالفتيان ألوانا

قيس (متهكمًا):

أراك في حبٍّ وردٍ جدِّ صادقَةٍ وكان حبُّك لي زورًا وبهتانًا

ليلي:

قيس!

قيس (صارخًا):

اتركيني بلائُ الله واسعةً! غدًا أبدلُ أحبابًا وأوطانا

(يحاول أن يتركها فتمسك به ليلي)

مجنون ليلي

ليلي:

العقل يا قيس!

قيس:

لا خَلِّي الرداءَ دعي

(ثم يفلت منها ويندفع إلى سبيله تاركًا إياها باكية في هيئة استعطاف)

ليلي:

وارحمته لقيسٍ عاد ما كانا!

واهاً لقيسٍ وآه ما صنعا؟ أكثرَ قيسٌ بلواي والوجعا

(تدخل عفراء)

عفراء عندي

عفراء:

لَبَّيْكَ سَيِّدَتِي الصَّبْرَ وَاسْتَدْفَعِي بِهِ الْجَزْعَا

ليلي:

لقد سمعت الحديث كيف إذن
قلت لقيس مقال مشفقة
وقيس ذو جنّة وإن زعموا
تحيير الناس في جنون فتى
والله لو جاء في محاسنة
صبري على ما جرى وما وقعا؟
لم يُلقِ بالألأ له ولا سمعا
جنونه مدعى ومصطنعا
لا عقل إلا بشعره ولعا
يسأل ورد الطلاق ما منعا

الفصل الرابع

فورُدُ يا عَفْرَ لا كِفَاءَ له مَرُوَّةٌ في الرجالِ أو ورعا
أه من من السُّقْمِ

عفراء:

ألفَ عافية

ليلى:

أه من الحادثات

عفراء:

ألفَ لعا

ليلى:

أنا عُذْرِيَّةُ الهوى أحمَلُ العَبءَ
المحَبَّاتِ ما بكيُن كدمعي
ويح قيسٍ وويح لي أي ثارٍ
أتعب الحيِّ داءُ قيسٍ ودائي
لا الحواميمُ تَصْرِفُ الجنَّ عنا
أبقيسٍ وبي هوى عبقرِيٍّ
علَّةُ البيد من قديمٍ وداءٌ
ما سلاحاه حين يقتلُ إلا
لم تُعَدَّبَ بالحب عذراءٌ قبلي
وإن ناءً بالصباية جهدي
في الليالي ولا أرقن كسُهدي
للمقادير عند قيسٍ وعندي
وتعايي الدواء كُهَّانَ نجد
حين تُتلى ولا رُقَى السحر تُجدي
يَسْلُبُ العقلَ من ذويه ويُردِي
ضاعَ فيه الرُقَى وحرار المُفدِّي
من عفافٍ ومن وفاءٍ بعهد
كعذابي ولن تُعَدَّبَ بعدي

عفراء:

هي عذراء؟ ربي اشهد!

ليلي:

أجــــــل عذراء حتى يضمنني ركنٌ لحدي

عفراء:

والذي أنتِ تحته

ليلي:

تحت بعلي
راعني اللوم من جميع النواحي
غير ذي جفوة ولا مستبد
فتواريت في مروءة «ورد»
(يقبل ورد وقد سمع آخر ما تقول)

رب ما ذا سمعت؟ ليلي شكور
لك نفسي الفداء يا بنت «مهدي»

ليلي:

ورد

ورد:

ليلي

ليلي:

رُحْمَاكَ وَرُدُّ وَعَفْوًا كُنْتُ أَخْفِي الْجَوِي فَأَصْبَحْتُ أَبَدِي

ورد:

ما بليلى؟ ماذا أثاركَ ليلي؟ هدَّئي رُوْعَكَ الْمُفْرَعِ هَدِّي

ليلي:

الداءُ يا وردُ فيَّ مجتهد
أصبحتُ لا أشتهي الطعامَ ولا
قلبي من اليأس حين حلَّ به
لم يحمل اليأس ساعةً ولقد
المتمني بالعيش منتفعٌ
القدرُ اليومَ والقضاءُ على
ملتهمٌ هيكلي وما شيعا
يحمدُ جنبي إليّ مضطجعا
أحسُّ يا وردُ أنه انصدعا
كان بما حملوه مضطلعا
ولن ترى يائسا به انتفعا
حربك قيس وحربي اجتمعا

الفصل الخامس

(مقابر على سفح جبل التوباد في طريق عام على مقربة من حي بني عامر يبدو من بينها قبر جديد ما زال أشخاص من الحي يهيلون عليه التراب ويضعون الأحجار، ومن حوله كثير من رجال الحي وفتيانه وصغاره يرى بينهم المهدي وورد وكلهم باك أو حزين – يبدأ المشيعون في الانصراف، وهم يعزون المهدي ويصافحونه واحدًا بعد واحد ويمرون على ورد مرورًا)

معز:

إنا لله أبا ليلي

آخر:

صبرُ أبا ليلي جميل

(في أثناء انصرافهم يمر رجل في الطريق فيسأل صبيًا من صبيان الحي في ناحية)

المار:

قبرُ مَنْ يا صبي؟

مجنون ليل

الصبي:

قبرها يا أبي

المار:

إمرأة؟

الصبي:

نعم

المار:

وَمَنْ تَكُونُ؟

(الصبي مشيراً إلى المهدي)

بنتُ ذا الرجلُ
ليلى ابنةُ المهدي أَلستَ من نجدِ؟

صبي آخر:

أجلُ قد دُفنتُ ليلي وما جفَّ لها لَحْدُ
وذا الشيخُ أبو ليلي وذا صاحبُها وردُ
هنا الوالدُ والزوجُ

المار:

وقيسُ!

الفصل الخامس

الصبي:

لم يجئ بعدُ

(يقترّب الرجل من المهدي فيعزيه)

المار:

مَهْدِيٌّ أَجْمَلُ جَزَعًا

معز:

يا أبا ليلي جَمالِكَ

آخر:

عَزاءٌ أبا ليلي

آخر:

عَزاءٌ أبا ليلي

آخر:

صبرٌ أبا ليلي جميل

صديق من أصدقاء ورد (هامسًا إليه):

لقد أحسنتَ يا وردُ وما للناسِ إحسان
يُعزُّونَ أبا ليلي وما عزَّكَ إنسان
بل انظرُ ترهم أقسى عليك اليوم ما كانوا

مجنون ليل

على الأوجُه بغضاً وفي الأعينُ عدوان

ورد:

مهلاً أخي وانظُرْ إلى الناس بعين مُنصفٍ
هم يأخذون ما بدا
ويتركون ما خفي
ظنُّ الجماعات فيَّ سوءٌ
ورأيهم فيَّ ما أصابا
يَرَوْنَ أنى عدُوُّ قيسٍ
أخذتُ ليلي منه اغتصابا
وزدتُ نفسيهما شقاءً
وزدتُ قلبيهما عذابا
ليسألُ الناس قبر ليلي
فإن في قبرها الجوابا
(يلتفت إلى المهدي بعد أن يعزيه آخر معز)

تجملُ أبا ليلي

المهدي (مصافحاً إياه):

تجملت طاقتي
حملتُ فضولَ الناس يا وردُ حِقْبَةَ
يعيئون في عرضي فمن كلِّ معولٍ
ولستُ بخوارٍ قليل التجلُدِ
وهذا يحييني ويقطعُ فروتي
وإذا قمتُ من باغٍ عثرتُ بمُعْتَدِ
ويهدمُ سؤدي
ولم تُرْخِ سترًا على ابنتي
لظلتُ بعرض في البوادي مُبَدِّدِ
حفظتُ ابنتي حفظ الشقيق ومُرَّضتُ
ببيتك تمريض الصغير المُمهدِ

الفصل الخامس

وصيّرت ليلي في حماك وخدرها
لقد صنتها يا وردُ فاذهبُ فما أنا
كعذراءٍ دِيرٍ أو كدُمِيّةٍ معبَد
بنايسٍ لك المعروف أو جاحد اليد
وليلي فتاةٌ حُرّةٌ بنتُ حُرّةٍ
أحبّتُ غلامًا سيّدًا وابنَ سيّد
وأعلمُ أني كنتُ حربَ هواهما
وكنْتُ مع الواشي وَعَوْنَ المفنّد
(يلتفت إلى القبر باكياً)

بظل الله يا ليلي

ورد:

وفي بحبوحة الخُلدِ
وهذا نَجْدُ يا ليلي فنامي في ثرى نجدِ

(يدخل دائرة المسرح من جانب الطريق الآخر الغريض المغني والشاعر ابن
سعيد وأمّية وسعد)

الغريض:

دنا الحيُّ يابن سَعِيدٍ وثمَّ

ابن سعيد:

وما ثَمَّ؟

الغريض:

أُنظر يُجِبُّكَ النظرُ

ابن سعيد:

قبور؟

الغريض:

أجل عارضتنا القبور وعمّا قليل نُجيزُ الحُفْرُ

ابن سعيد:

وهل نحن إلا على حُفْرَةٍ هي الأرضُ أو هي قبر البشر
محجّبةٌ بغرور الحياة يراها إذا غرغر المحتضّر
غريضٌ: بصُرتِ بقبرٍ جديد

الغريض:

وماذا سوى الموت في ذا العَفْرُ؟

ابن سعيد:

أخُ كان يملأُ أمسِ الهواءِ ويحيا الحياةَ ويجري العُمرُ
نزيلٌ لعمري غريبُ الغِطاءِ غريبُ الوِطاءِ غريبُ الحُجْرُ
لدى منزلٍ كبيوتِ الكِراءِ مرارًا خلا ومرارًا عَمْرُ
يُزارُ كثيرًا فدون الكثير فغيبًا فيُنسى كأن لم يُرْزُ
وليس بنافعه الواصلون وليس بضائره من هجر
فيا مَيّتَ أمسِ عدتْكَ الرياحُ وحيّاكَ في الفتراتِ المطرُ
وأمسِ كعادٍ وإن كان منك مُطيفُ الخيالِ قريبَ الصُورِ
لقد نفضَ الليلُ منك اليدينِ وأدرك فيك النهارُ الوَطْرُ
وأمسيتَ تحت لواءِ الترابِ قهرتَ القضاءِ وودنتِ القدرُ
تلفّتُ وراءك أين الغرورُ وأين السرورُ وأين الأشْرُ

الفصل الخامس

وأين مَعَالِمُ عُرْسِ الحَيَاةِ
وأين شَبَابُ كَحْلَمِ العُرُوسِ
وأين العداواتُ من سافرِ
وأين المودَّاتُ من صُحْبَةِ
قليلون عند امتناعِ القِطَافِ
وكم من سقيتِ بِشَهْدِ الودادِ
فدُقْ سِنَةً لا ككلِّ السُّنَاتِ
وقل للصديقِ طَوِينًا الحَدِيثِ
وهيئِ مَكَانِيهِمَا في الترابِ
وأين سنا ليله المزدَهرِ
ضُحُوكُ العَشِيَّاتِ طَلُقَ البُكَرِ
مُبيِّنٍ ومن كاشحِ مُسْتترِ
كنحلٍ يَحْمَنَ وَأنتِ الزَّهْرُ
كثيرون عند رجاءِ الثمرِ
فلم يَجْزِ إلا بَصَابِ الإبرِ
ونمَّ ليلَةً ما لها من سَحَرِ
وقل للعدوِّ دَفْنًا الخبرِ
فإن رِكابَهُمَا مُنتظِرِ

سعد:

أمية ماذا ترى في الغريض؟

أمية:

وماذا أرى في أميرِ الطرب؟

سعد:

لقد علم الناسُ أن الغريضَ مُغْنِي الحِجَارِ وشادي العرْبِ
ولكن ...

أمية:

وماذا وراء «ولكن»؟ فمن شأنها أن تُثِيرَ الرِّيبَ

سعد:

أُمِّي اخْفِضِ الصَّوْتِ لا يسمَعَنَّ
فيغضبَ فهو قَريبُ الغضبِ

هو في كلِّ خاطر وفؤادِ صدَى الألم

أنشودة الغريض:

وادي الموت سلامٌ وسقى القاع الغمامُ
السماءُ القدُّسُ محرابك والأرضُ الحرامُ
أنتَ في الصَّمتِ مُبينٌ ومن الصَّمتِ كلامُ
لم يمتْ أهلك لكن غشيَ الليلُ فناموا
غيبٌ لم ندر ما صاروا ولا أين أقاموا

(يخرجون إلى ناحية الحي من حيث يسمع آخر الأنشودة ثم يدخل من الجانب الآخر على أثر اختفائهم، قيس وزياد)

قيس:

جبلَ التَّوْبَادِ حَيَّاكَ الحيا
فيكَ ناغينا الهوى في مهده
وحَدَوْنَا الشمسَ في مَغْرِبِهَا
وعلى سفحك عشنا زمنًا
هذه الرِّبوةُ كانت مَلْعَبًا
كم بنينا من حصاها أربَعًا
وخططنا في نقا الرمل فلم
لم تَزَلْ ليلي بعيني طفلةً
ما لأحبارك صُمًّا كلما
كلما جئتُك راجعتُ الصُّبا
قد يهونُ العُمُرُ إلا ساعة
وسقى الله صباننا ورعى
ورضعناه فكنت المرصعا
وبكرنا فسبقنا المَطْلَعَا
ورعينا غنمَ الأهلِ معا
لشبابينا وكانت مَرْتَعَا
وانثنينا فمحونا الأربعا
تحفظ الريح ولا الرمل وعى
لم تزد عن أميس إلا إصبعًا
هاج بي الشوقُ أبْتُ أن تسمعا
فأبْتُ أيامه أن ترجعا
وتهونُ الأرضُ إلا مَوْضِعَا

(يظهر بشر قادمًا إلى المقبرة من ناحية الحي)

مجنون ليل

بشر:

عزاء قيس!

قيس:

مَنْ؟ بشرٌ؟

بشر:

أجلُ

قيس:

فيمَنْ تُعزِّينِي؟
أنا الميِّتُ يا بشرُ وإنَّ أحرَّ تكفيني

(يضطرب بشر وقد أدرك جهل قيس وحرص الموقف ثم يميل هامساً إلى زياد)

يجهَلُ قيسُ موتَها ولم أخلُ أن يجهلَه
ويَحَ له وويحَ لي! ماذا عسى أقولُ له
إنَّ الحبيبَ نعيه إلى المحبِّ مُعضله
إنِّي أخاف إنَّ أنا خبرتُه أن أقتله

قيس:

بشرُ

الفصل الخامس

بشر:

لَبَّيْكَ قَيْسُ

قيس:

من أين يا بشرُ؟

بشر:

من الحيِّ

قيس:

ما حوادثُ عامرُ؟

كيف أُمِّي يا بشرُ؟

بشر:

بَرَّحَهَا الشُّوقُ

قيس:

وأهلي ...

بشر:

حينينهم متكاثر

قيس:

ولِداتي من فتيةٍ وعذاري؟

بشر:

كُلُّهم شيقٌ لعهدك ذاكر

قيس:

كيف بيْتُ لنا بمدرجةِ الريحِ وناهِ على النجومِ وسامر؟
والنخيلاتُ كيف خلَّفَتْها بشر؟

بشر:

كما هن باسقاتٌ نواضر

قيس:

ومهاري التي تركتُ صغارًا؟

بشر:

كبرت قيسُ فهي جُرْدٌ ضوامر

قيس:

عزَّت البيدُ، تُنبِتُ السابقَ الفدَّ وتأتي بفارس وبشاعر!

(يضطرب بشر)

الفصل الخامس

ويح بشرٍ ماذا به؟

بشر:

قيس

قيس:

بشـــــــــــــــــــــــرُ! أنت في نفسك الخفيّة تائر
تُشبهُ الحزن والبكى نبراتُ لك كانت كضاحكات المزاهر

بشر (إلى نفسه ثم إلى قيس):

ربِّ ماذا أُجيب؟ لا شيء يا قيس ...

قيس:

بل الحزنُ في مُحيّك ظاهر
ولقد راعني لك اليوم جدُّ من خلعِ العذار بالأمسِ سادر

(تغرورق عينا بشر بالدموع)

ما جرى؟ ما الذي أثارك يابن العم؟ ما هذه الدموعُ البوادر؟

بشر:

قيس لا شيء

قيس:

بل كتمت جليلاً هذه وجمة النعي المحاذر!

بشر:

قيس ...

قيس:

لا، لا تجم ولا تخف شيئاً أنا يا بشر بالفجيعة شاعر
خُجبت قبل نلتقي عيني اليسرى وريح الفؤاد روعة طائر

بشر:

أعفني! أعفني! بربك ما أنت على ما أقوله لك قادر!

قيس:

أماتت؟

بشر:

أجل قضت أمس ...

قيس (وهو يغمى عليه):

وا ليلاه!

بشر:

لله ما أشدَّ المقادر!

(يمضي بشر في سبيله)

زياد (مقترَّبًا في قيس):

هو مغمى عليه ربُّ أيصحو؟ هل لهذا العذاب يا ربُّ آخر؟

(يصحو قيس)

زياد:

تباركت يا ربُّ قيسُ أفاق صحت عينه وصحا المسمعُ!
رجعت لنا قيس

قيس:

هيهات هيهات! من كان في النَّزع لا يرجعُ
لقد بقيت خفقةً في السراج
زيادُ غداً يلتقي الموجهون
سيلفطها ثم لا يسطع
وموعدنا ذلك البلقع!

(يشير إلى المقابر)

عرفت القبورَ بعرف الرياح
كثكلى تلمسُ قبرَ ابنها
هداها خيالُ ابنها فاهتدت
لنا الله يا قلب! ليلاك لا
فجعنا بليلى ولم نك نحسبُ
ودلَّ على نفسه الموضعُ
إلى القبر من نفسها تُدفع
وليلي الخيالُ الذي أتبع
تجيبُ وليلاي لا تسمع!
يا قلبُ أنا بها نُفجع

(يقترَّب إلى القبر باكيًا فيكب وجهه على حجر من أحجاره)

أعينيَّ هذا مكانُ البكاء وهذا مسيلُك يا أدْمُعُ!
هنا جسمٌ ليلي هنا رسمُها هنا رَمقي في الثرى المودَعُ
هنا فمٌ ليلي الزكِّي الضحو كُ يكادُ وراء البلى يلمَعُ
هنا سحرٌ جَفنِ عَفاه الترابُ وكان الرُقَى فيه لا تنفعُ
هنا من شبابي كتابُ طواه وليس بناشره البَلَقعُ
هنا الحادثاتُ، هنا الأمل الـ حلُو يا ليلَ، والألمُ المُمْتعُ
طريدَ المقادير هل مَن يُجيرُ ك منها سوى الموتِ أو يمنعُ؟
تَذلُّ الحياةُ لسلطانها وللموت سلطانها يخضعُ
طريدَ الحياةِ ألا تستقرُّ ألا تستريحُ، ألا تهجعُ؟
بلى قد بلغتِ إلى مَفْرَعِ وهذا الترابُ هو المَفْرَعُ

(يظهر الأموي شيطانه من بعيد ويناديه)

الأموي:

قيسُ

قيس:

مَن الهاتِفُ من نادى الشريدَ المُطْرَحُ

الأموي:

أنا الذي أوحى إليك حُبَّ ليلي واقتَرَحُ

قيس:

إنْهَبْ وإن لم أذِرِ رُوحُ أنتِ أم أنتِ شَبَحُ
إنْهَبْ فلستِ صالِحًا وأيُّ شيطانِ صُلُحُ
كنتِ قرينَ السوءِ لي وكنتِ شرًّا من نَصَحُ

لولاك ما بُحْتُ بما خدَّشَ ليلي وجرح
كأنه في عرضها زيتٌ على الثوب سرح

الأموي:

أفق قيسُ

قيس:

سرُّ خلِّني يا خيالٍ ومَنْ بالخيال لمن لم ينم

الأموي:

حَنَانِيكَ قَيْسُ أَقِلَّ الْعِتَابَ
تَفَرَّدْتَ بِالْأَلَمِ الْعَبْقَرِيِّ
مُرِيبُكَ يَا قَيْسُ فَوْقَ التَّرَابِ
أَخَذْتَ سَبِيلَكَ نَحْوَ الْخُلُودِ
قُمْ اهْتِفْ بِلَيْلِي وَشَبِّبْ بِهَا
وَطِرْ فِي الْهَوَاءِ طَلِيقَ الْجَنَاحِ
فَلَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ خَلُوكُمَا
قُمْ ابْسُطْ جَنَاحَكَ فَوْقَ الْقِفَارِ
وَأْتِرْعُ مِنَ الْوَتْرِ الْعَبْقَرِيِّ
وَأَلِّفْ عَلَى الْحَبِّ شَتَى الْقُلُوبِ
تَعَنَّ بِلَيْلِي وَبُحْ بِالْغَرَامِ
فَلَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ حَتَّى يَذِيعَ
وَلَا تَسْكِبَنَّ دُمُوعَ النَّدَمِ
وَأَنْبِغُ مَا فِي الْحَيَاةِ الْأَلَمِ
وَأَنْتِ مَعَ النُّجْمِ فَوْقَ التُّهُمِ
وَلَيْسَ الْخُلُودُ سَبِيلَ الْأُمِّ
وَخَلَّ التَّقَالِيدَ وَأَنْسَ الْحُرْمَ
وَسِرْ فِي الْأَدِيمِ طَلِيقَ الْقَدَمِ
كَتَرَكِ الْوَفُودَ حَمَامَ الْحَرَمِ
وَطِرْ فِي الْوَهَادِ، وَقَعْ فِي الْأَكْمِ
سَمَاءَ الْقُصُورِ وَأَرْضَ الْخَيْمِ
وَأَرْسِلْ بِسِرِّ الْجَمَالِ النِّعْمِ
وَبُتِّ الصَّبَابَةِ وَاشْكُ السَّقَمِ
وَلَا خَيْرَ فِي الزَّهْرِ حَتَّى يَنْمَ

قيس:

أقوم؟ ... هات قدما
أقول؟ ... أعطني فما
أما تراني هيكلاً محطماً مهذماً!

(يختفي الشيطان ويستمر قيس)

يا رَبِّ قيس هل نعيْتُ وهل جرتُ
أو لا فما بالي أنوءَ بهيكل
اليومَ أذننا القضاءَ بحكمه
راجعت في الموت الحياةَ وعادني
كيفَ الوداعُ من الحياة ولم يُنحْ
هيهات لم تعدمُ شذاكِ قرارة
وعلى سماءِ البیدِ منكِ بشاشةُ
وكان كل ضبايةٍ دون الضحى
كأسٌ تدورُ على النفوسِ مَشاعُ
للموت فيه وللحياة صِراعُ؟
ما لي ولا لك يا حياةُ دفاع
في النزَعِ يا ليلی إلیك نِزاع
ليَ منك يا لیلی الغداةَ وداع
حولي ولم يَعِدْ سنالكِ يَفِاع
وعلى رمالِ البیدِ منك شُعاع
قسَماتُ وجهك دونهنَّ قناع

(يمر به ظبي سارح فيتأمله قليلاً ويناجيه)

يا ظبي بكّ من افتداكِ بماله
وأباح طفلك ماءه وطعامه
يا قاعُ كن نعشي وكن كفني وكن
واجمَعْ لتشييعي الظباء، ومَنْ رأى
أُتري أموتُ كما حييت مُشرِّداً
وأبيتُ وحدي لا الوحوشُ أوانسُ
إذ أنت عان تُشتري وتُباع
إذ هنَّ عَطَشِي بالفلاة جِيع
قبري وقُمْ في مَأْتمي يا قاع
ميتاً بأسرابِ الظباء يُشاع
لا الأهلُ من حولي ولا الأتباعُ
حولي هناك ولا الظباءُ رِباعُ؟

(تتخاضل سيقان قيس فيتلقاه زياد ويظهر ابن زريح على مقربة من القبر
خاشعاً باكياً)

زياد:

قيسُ لا بأسَ عليكِ أنا ذا بين يديكُ

قيس:

نفسُ اطمئني الآن لستُ وحدي قد حَصَرَ الذي يَحْطُّ لحدي
وَيُرْشِدُ الحَيَّ إِلَيَّ بَعْدِي زيادُ أنتَ المُشْفِقُ المُفْدِي
لم أنفِرْ إلا رُئيتَ عندي

(يتبين شبح ابن ذريح)

زيادُ ما ذاك منذا يبكي وراءَ الضريح
إني أغارُ على القبرِ من غريبِ الجُروحِ

زياد:

لا تخشَ يا قيسُ منه فإنه ابنُ ذريحِ

ابن ذريح:

يا ليلَ قبرك رِبوةَ الخُلْدِ نَفَحَ النعيمُ بها ثرى نجدِ
في كلِ ناحيةٍ أرى مَلَكًا يتنفسونَ تنفُسَ الوردِ
ليسُوا الجَمَانَ الرُّطْبَ أَجْنَحَةً وتناثروا كتناثرِ العِقْدِ
وتقابلوا فعلى تحيَّتْهم مِسْكُ السلامِ وَعَنْبِرُ الرِدِ
وكأنَ نجواهم وَسُبْحَتَهُم صَوْبُ الغمامةِ أو صَدَى الرعدِ
نفحاتُ طيبٍ ههنا وههنا ما للرياضِ بهنِ من عهدِ
يا قيسُ صبرًا ههنا مَلَكٌ ذَبْحُ الصبابةِ مُشْهَدُ الوجدِ
أصْحُ انتبَهْ واطرَحْ بعينك في بَهَجِ السماءِ وحُسْنِ ما تبدي

قيس:

أين السماءُ وأين مُحْتَضِرٌ طلعتُ عليه الأرضُ باللُّحْدِ

مجنون ليل

السُّهُدُ عَذَّبَنِي وَذِي سِنَّةُ
وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُبَشِّرُنِي
لَوْ أَنَّ لَيْلِي فِي النِّعِيمِ مَعِي
لَيْلِي النِّعِيمُ وَقَدْ ظَفِرْتُ بِهَا
أَجِدُ الشِّفَاءَ بِهَا مِنَ السُّهُدِ
بِالْخُلْدِ مَا أَنَا دَاخِلٌ وَحَدِي
أَوْ فِي الْجَحِيمِ تَسَاوِيَا عِنْدِي
فَالْيَوْمَ نَرَقُدُ فِي ثَرَى نَجْدِ
وَطَنِي وَأَوْثَرُهُ عَلَى الْخُلْدِ
وَإِنْ شَقِيتُ بِهِ

(يسمع صوتًا ضئيلاً كأنما هو خارج من القبر)

الصوت:

قيس

قيس:

مَنْ الصَّوْتُ وَيَحْيَى أَبِي سِحْرُ

الصوت:

قيس

قيس:

زِيَادِ اسْمَعْ وَأَصْخِ يَا بَشْرُ

الصوت:

قيس

قيس:

سمعتُ اسمي يلفظه القبرُ

الصوت:

قيس

قيس:

تناديني من قبرها باسمي
لبئيك يا ليلي بالروح والجسم

(يدخل في دور الاحتضار الأخير)

هل أسا الموتُ جراحينا وهل قرَّب الدارَ وهل لَمَّ الشتاتُ؟

أصوات:

قيس، ليلي

قيس:

رَدَدْتُ قَيْسَ وَلَيْلَى الْفَلَوَاتُ
نحن في الدنيا وإن لم ترنا
لم تَمُتْ لَيْلَى وَلَا الْمَجْنُونُ مَا تَ